

الفصل الثانى

المنظور القيمى والأخلاقى

فى الإسلام كأحد مقومات البعث

أولاً: الجانب الأخلاقى ومضامينه فى الإسلام .

ثانياً: تصنيف مفصل للمنظومة الأخلاقية فى الإسلام

القسم الأول : أخلاق أساسية فى البناء الاجتماعى والعلائقى للمجتمع المسلم.

القسم الثانى : أخلاق فرعية حميدة، يجب على المسلم اتباعها والعمل بها.

القسم الثالث: أخلاق ذميمة، ينبغى اجتنابها والبعد عنها.

ثالثاً: دراسة تحليلية لقضية العمل فى الإسلام من منظور البناء والبعث.

رابعاً: الجانب القيمى والاجتماعى للمال فى الإسلام.

المنظور القيمي والأخلاقي في الإسلام

المبحث ١ :ول: الجانب ١ :خلاقى ومضامينه فى الإسلام

الأخلاق ركيزة أساسية فى بناء المجتمع المسلم وصلاحه، وهى عنصر فعال فى تقويم شئون الحياة وبالطبع ليس ثمة تقدم فى أى مجال يفوق الرقى الأخلاقى والقيمى فى أى مجتمع؛ ولذا لا يُغنى أى تقدم فى مجالات الحياة المختلفة عن سمو أخلاقى متواكب مع ذلك. ولعل أحد أسباب الأزمة الأخلاقية التى يمر بها العالم أن جعلت الأخلاق فى ذيل اهتمامات بعض الأمم.

وإذا كانت العقائد هى الركن الأسمى لجوهر الإسلام، فإن الأخلاق هى الركن التطبيقى لها، مع إغفال ركن العبادات والمعاملات، وهما لا يخلوان من جانب قيمى وأخلاقي عظيم.

ولأن الإسلام يقوم أساساً على الأخلاق الفاضلة الكريمة، فقد عُدَّ الثناء على أخلاقيات الرسول الكريم ﷺ أحد مسببات ودواعي تفضيله وتميزه ﴿وَأَنَّكَ لَـعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤]. ﴿فِيمَا رَحِمَهُ مِّنَ اللَّهِ لَئِنَّ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩]. ، وقال عن نفسه ﷺ : « إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»^(١) وقال أيضاً: « ما من شيء أثقل فى ميزان العبد يوم القيامة من خلق حسن وإن الله ليبغض الفاحش البذىء»^(٢) وقال: « البرُّ حسن الخلق، والإثم ما حاك فى صدرك، وكرهت أن يطلع عليه الناس»^(٣).

ويستفاد من أحاديث أخرى أن أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً، وأن من أحب الناس وأقربهم للرسول ﷺ أحسنهم خلقاً، وأن حسن الخلق من أفضل الخلق، ومن أكثر ما يُدخل الجنة، وإن العبد ليبلغ بحسن الخلق أشرف المنازل وأعظم الدرجات فى الآخرة.

ولذا جاء الأمر بمخالقة الناس بالخلق الحسن، واعتباره أحد سمات كمال الإيمان، وأحد مسببات العلو فى الجنة، والفوز برضوان الله تعالى ، وجعله معياراً للمفاضلة بين الناس يوم القيامة.

(١) رواه مالك وأحمد وغيرهما بسند صحيح.

(٢) رواه الترمذى فى الجامع عن أبى الدرداء وقال: حديث حسن صحيح.

(٣) رواه مسلم عن النواس بن سمعان.

وحرص الإسلام على إبراز دلائل حسن الخلق من حياء وصلح وصدق وبر وصبر وشكر وحلم ورفق وعفة وصلة رحم واجتناب المحارم وكف الأذى والعدل والكرم والتواضع والتوكل والرحمة، وتجنب الصفات الرذيلة، كالظلم والحقد والحسد والبخل والرياء والعجز والغش (مما سنفصله في تناول تال).

وليس خافياً أن لحسن الخلق علامات، وهى كلها مرتبطة بالإيمان، فحسن الخلق من الإيمان بل هو الإيمان، وسوء الخلق من النفاق بل هو النفاق. وقد ذكر الله تعالى صفات المؤمنين والمنافقين فى كتابه وهى بجملتها ثمرة حسن الخلق وسوء الخلق^(١).

والمُتأمل فى العبادات فى الإسلام يجد أنها ليست طقوساً مبهمه، وليست تكليفاً بلا معنى، ولكنها تدريب للمسلم أن يحيا حياة أخلاقية صحيحة، وأن يظل متمسكاً بهذه الأخلاق ومحافظاً عليها، فالصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، وتبعد عن الرذائل، وتظهر من سوء القول وسوء العمل^(٢).

والشئ نفسه فى الزكاة، التى فرضت للتطهير والتزكية، وتنظيف النفس، وتوطيد العلاقات بين الأفراد، والتسامى بالمجتمع إلى مستوى أنبل وأعظم.

والصوم كذلك ليس حرماناً مؤقتاً، ولكنه خطوة إلى حرمان النفس من شهواتها ونزواتها، فغايته التقوى، والبعد عن اللغو والرفث والفسوق والجدال، وتدريب على فعل الخير والإكثار من الطاعات والتزود بالتقوى.

ونخلص مما تقدم إلى أن العبارات موصلة إلى تربية خلقية، والتزام قويم، وتدريب على الطاعة والاستقامة، وتأكيد لأواصر العلاقة بين الدين والخلق.

فالصلاة والصيام والزكاة والحج وغير ذلك من الطاعات هى مدارج للكمال، ورافد للتطهير وتزكية للقلب، ونقاء للروح، وتقوية الصلة بالله تعالى.

(١) يُرجع فى ذلك لكتب الأخلاقيات الإسلامية، ومنها مؤلفات الإمام أبى حامد الغزالى، وبخاصة ملخص الإحياء فى تهذيب موعظة المؤمنين للقاسمى؛ حيث أفاض القول فى فضيلة حسن الخلق، ومذمة سوء الخلق، وما قاله السلف فى ذلك، وبيان السبب الذى به يُنال حسن الخلق على الجملة، وبيان تفصيل الطريق إلى تهذيب الأخلاق، والطريق الذى يعرف الإنسان به عيوب نفسه، وبيان تمييز علامات حسن الخلق، وثمره كل ذلك فى سلوك المسلم، وطرق التربية والسلوك، ورياضة الأبناء خلقياً وتأديباً.

(٢) ثمة أحاديث كثيرة، تعضد ذلك، ومنها: حديث البزار عن ابن عباس رضى الله عنهما عن الله عز وجل فى الحديث القدسى «إنما أتقبل الصلاة ممن تواضع بها لعظمتى، ولم يستطل على خلقى، ولم يبت مصراً على معصيتنى، وقطع النهار فى ذكرى، ورحم المسكين وابن السبيل والأرملة، ورحم المصاب».

ونرصد خطأ منهجياً في القرآن الكريم والأحاديث النبوية يصل بين الإيمان والأخلاق، فالحياء والإيمان قرينان، والإحسان إلى الجار من الإيمان^(١)، وغير ذلك من الفضائل المرتبطة بالإيمان. فالإيمان لا يكتمل ولا يكون حقيقة إلا بحسن الخلق، وحسن المعاملة مع الناس. فالإيمان والصلاح والأخلاق عناصر متلازمة متماسكة، والإيمان الحقيقي تبرز إفرزاته في كلمة طيبة، وعطاء حسن، وإحسان إلى الناس .. إلخ.

وليس عجباً أن الرذائل تبعد المرء عن الدين الصحيح، وهي تأكيد لضعف إيمان صاحبها وفساد عمله، ومن هنا نرى العلاقة وثيقة بين خلق النفاق وبين هذه الأخلاقيات السيئة، والقبايح التي إن فعلها المرء أضحى منافقاً مثل الكذب في الحديث، وخلف الوعد، وخيانة الأمانة، وغدر العهد، وصلاته وزكاته وصومه وحجه لا يسقط عنه هذا النفاق السلوكي.

وعندما يُكثر المرء من المعاصي وإتيان المنكر فهذا لضعف إيمان العاصي؛ الذي يُدمن المعصية ويألفها، ويغتر بالدنيا، وتضعف إرادة الخير عنده.. فيطبع الله على قلبه، ويدخل تحت لعنة رسول الله ﷺ، وتعمى البصيرة، وتعرض القلب، وتمحق البركة، وتُزيل النعم، وتُنسى العبد نفسه، وتوجب القطيعة بين العبد والرب^(٢).

وبرؤية شمولية للأخلاق الإسلامية نجد أن الإسلام جاء لينقل البشرية خطوات فسيحة إلى حياة مشرقة بالفضائل والآداب، واعتبر المراحل المؤدية لهذا الهدف النبيل من صميم رسالته، وعدّ الإخلال بهذه الوسائل خروجاً عليه، وابتعاداً عنه.

فليست الأخلاق من مواد الترف؛ التي يمكن الاستغناء عنها، بل هي أصول الحياة التي يرتضيها الدين، وقد أحصى الإسلام الفضائل، وحث أتباعه على التمسك بها واحدة واحدة. ولو جمعنا أقوال صاحب الرسالة ﷺ في التحلي بالأخلاق الزكية لخرجنا

(١) نجد صدى ذلك في قول الرسول الكريم ﷺ: « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فليقل خيراً أو ليصمت » رواه البخاري. وقوله ﷺ: « والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن. قيل: من يا رسول الله؟ قال: الذي لا يأمن جاره بوائقه » رواه البخاري. وأنت ترى أن الإيمان قاسم مشترك فيهما.

(٢) في كتابه (الداء والدواء) رصد ابن قيم الجوزية - رحمه الله - أضرار الذنوب والمعاصي، وأثر ذلك على العاصي، وما يلحق به من عقاب في الدنيا والآخرة. وربط العلاقة بين الذنوب والإيمان، وبين سوء الخلق وضعف اليقين.

بسفر لا يعرف مثله، لعظيم من أئمة الإصلاح^(١) ولوجدنا سيلاً متدفقاً من القيم العظيمة، وتواصلاً حقيقياً بين الناس وخالقهم، وبين الناس والناس.

ولوجدنا أن من بين معايير المفاضلة بين المسلمين حسن خلقهم، وكرم طبيعتهم.

ومن شأن الحفاظ على الأخلاق في أمة أن يضمن لها بقاءها وازدهار حضارتها، واستدامة منعته، ودوام ملكها. وأن زوال الأمم وكيانها يتأتى من بعدها عن منهج الله ومقارفة الآثام^(٢). وتستمد الأمة مكانتها وسموها بتمثلها للصفات العالية، والأخلاق الكريمة وبنقصان الفضائل في أمة ينقص قدرها، ويتبدى انهزامها الخلقى.

وتفقد الشخصية الإسلامية بعض قوامها، وكثيراً من جمالها، وتناسق سلوكها عندما تفقد بعض أخلاقها. وعندما يقع التفريط في البناء الخلقى للأمة يهتز بناؤها وميزانها؛ ولذا فإن إحياء الأخلاق الإسلامية هو عودة حياة السلف ونهج الصحابة.

فبهذه الأخلاق فتح المسلمون البلدان؛ متسلحين بحسن الخلق، رحماء وأمناء على النفوس والأرواح والأموال؛ بعيدين عن الظلم والنهب والسلب، محافظين على العدالة والتسامح والعفو والحلم وسعة الصدر، فضربوا المثل الطيب للبلاد التي فتحوها؛ فأقبلوا على الإسلام دون إكراه أو إجبار على ذلك^(٣).

ونقرر هنا أن الإسلام في تأصيله لقواعد الأخلاق، وفي عنايته بالبناء القيمي للمجتمع؛ ينطلق من مسلمة أساسية في ذلك؛ منها أن صلاح المجتمع المسلم مرتبط بالتزام أفراد هذه الأخلاقيات، وأن جزءاً كبيراً من مضامين الريادة لهذه الأمة مرتبط بذلك. ولننظر لقوله تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ

(١) محمد الغزالي: خلق المسلم، القاهرة، دار الدعوة، ١٩٩٠، ص ١٧.

(٢) يؤكد القرآن الكريم هذه الحقيقة؛ فالأمة السابقة كان خلقها وإتيانها المنكر ومخالفتها لأمر الله سبباً لهلاكها ﴿فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ [الأعراف: ١٦٦]. ﴿فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْقَةُ وَهُمْ يَنْظُرُونَ﴾ [الذاريات: ٤٤]. ﴿وَكَايْنٍ مِّنْ قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسَبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَاهَا عَذَابًا نُّكَرًا﴾ [الطلاق: ٨].

(٣) شهد بذلك مؤرخو الغرب وكتابه، ومنهم (السير توماس أرنولد) في كتابه (الدعوة إلى الإسلام)؛ حيث ذكر أن المسلمين أقاموا دولة العدل وأنصفوا المظلومين من المسيحيين في البلاد المفتوحة؛ لذا اعتنق كثير من المسيحيين الإسلام بدافع من أنفسهم، وبمحض إرادتهم، وذلك لإعجابهم بالدين الإسلامي ولسياحته ومنطقته ودعوته للأخلاق الحميدة، ومسالته لأصحاب الديانات الأخرى إلى غير ذلك مما ذكر، مستشهداً لذلك بوقائع محددة يؤكد ما اقتبسناه.

عَنِ الْمُتَكَبِّرِ ﴿[آل عمران : ١١٠]﴾. فخيريتها مرتبطة بأحد هذه الأخلاقيات المميزة لهذه الأمة، فعندما يؤدَّى شرط الله - في هذه الأمة - تستحق هذا الفضل والسبق، وإن الشريعة انفردت عن غيرها بتقديم تفصيل واف لكل خلق إسلامي، ولتطبيقاته، مما لا نجد له نظيرًا في الشرائع الأخرى، بل وفي تراث الأمم وسجل مؤلفاتها^(١).

ورغم عناية الإسلام بالأخلاق، ودعوة الأمة لذلك؛ إلا أن ثمة انفصامًا واضحًا في سلوك المسلم؛ حيث يخالف سلوكنا ما أمرنا به الإسلام، وتجد ذلك في المعاملات والسلوكيات، التي لا تعبر عن التزام صحيح بالجانب الأخلاقي. وتجد كذلك عناية بجانب منها، وتفريطًا في الآخر.

فالمسلم قد يؤدى فرائض دينه ولكنه لا يجد غضاضة في أكل الربا أو الغش في التجارة أو شرب الخمر أو اقتراف معصية أو عدم تقديم العون لأخيه المسلم. مما يحدث انبعاجًا وعدم توازن في البناء القيمي والخلقي في المجتمع المسلم.

وعندما تتدخل الأهواء في تطبيق هذه القيم، وعندما تخضع للتبديل والتغيير فإن ثمة مفسد ومضار تنتج عن ذلك، منها « إشاعة الفوضى، وفقدان الأنظمة، واضطراب الأحوال، وتسلط القوى، وظلم الضعيف، وإثارة القلاقل، وعدم الطمأنينة، وانعدام الأمن »^(٢).

وفي المقابل نجد أن الالتزام بهذه القيم والبعد عن الأهواء، هو سبب لتوفير السعادة والراحة، وتحقيق للأمن والأمان، والحفاظ على الكرامة، وحماية مصلحة الإنسان.

ولن تقوم نهضة حقيقية لهذه الأمة إلا بالالتزام دقيق وتطبيق صحيح لقيم الإسلام الخالدة، التي اتسمت بسمو غايتها، ووسطيتها واعتدالها، ورعاية مصلحة الفرد والمجتمع وتحقيق الخير العام للإنسان. واتسمت كذلك بتجاوزها حدود المحلية إلى كونها قيمًا كبرى واجبة في كل زمان ومكان. وكونها قيمًا عامة لكل الناس دون مجتمع أو

(١) أفرد علماء المسلمين مؤلفات للأخلاق وتطبيقاتها، وجعلوا المباحث الأخلاق علمًا مستقلًا له دراساته؛ لذا حفلت المكتبة الإسلامية بقسم عظيم لكتب (الأداب الشرعية أو الأخلاق) ودراسة العلاقة بين التشريعات الإسلامية والأخلاق.

(٢) وهبة الزحيلي : القيم الإسلامية واتباع الهوى، الكويت، مجلة الوعي الإسلامي ، العدد ٢٣٢، فبراير ١٩٨٤، ص ١٣ وما بعدها.

جنس، ثم إنها خالدة ومستمدة من شريعة خالدة، وذلك الخلود القائم على المبادئ الكلية والقواعد الشاملة، والضوابط المرنة، كما أنها منسجمة مع الفطرة الصحيحة وأصالة الإنسان السوى، ونقاء جوهره ومادته.

ومنطلقنا في معالجة قضية الأخلاق في الإسلام التأكيد على أن المضامين القيمية والأخلاقية عندما اقتدها المسلمون في حياتهم، وعندما غيَّبوا بعضها، وأخذوا ببعضها كان ذلك أحد أسباب تخلفهم، ونعتقد اعتقاداً دينياً أن عودة المسلمين إلى نبعها الصافي وإلى الفهم الصحيح لتطبيقاتها يمثل بداية بعث حقيقى لهم.

ونجدنا في حاجة لرصد بعض الأخلاقيات الإسلامية الأساسية؛ التي تمثل محاور لهذا البعث، والتي سنخلص منها إلى التطبيقات الصحيحة لها، وأثر ذلك في حياة المسلمين، وهذا ما سنعرض له فيما يلي:

المبحث الثاني: تصنيف مَفصل للمنظومة ١ أخلاقية في الإسلام

أشرنا فيما تقدم إلى النسق الخلقى في الإسلام، والدعوة إلى حسن الخلق بعامية كصفة للمسلم. وامتداداً لذلك سنُفصل الحديث عند كل خلق إسلامي، ينبغي أن يتصف به المسلم، ويكون خليفة له.

وباستلها منا لروح النصوص الدينية نخلص إلى تصور للأخلاق الأساسية في الإسلام، متمثلاً في أقسام ثلاثة، وهي:

القسم الأول: أخلاق أساسية في البناء الاجتماعي والعلائق للمجتمع المسلم.

القسم الثاني: أخلاق فرعية حميدة، يجب على المسلم اتباعها والعمل بها.

القسم الثالث: أخلاق ذميمة، ينبغي اجتنابها والبعد عنها.

وستتناول كل قسم منها بالشرح والتفصيل فيما يلي:

القسم الأول: أخلاق أساسية في البناء الاجتماعي والعلائق للمجتمع المسلم

ثمة أخلاقيات إسلامية موجهة نحو المجتمع للتقريب بين أفرادها، وصهرهم في إطار إسلامي؛ يحكم حياتهم؛ ويكون سلوكاً لهم، ورغم أنه من الصعب أن نفصل الأخلاق الفردية لكل مسلم عن الأخلاق الجماعية، إلا أن ما نقصده هنا هو الأخلاق

ذات الجانب الاجتماعي، أى التى يؤديها المسلم ويمتد أثرها النفعى والمعنوى إلى غيره. وإن أخذ بها فى مجتمع ما فإنه يكون قد تخلق بالأخلاقيات الإسلامية، ويكون أدخل فى دائرة المجتمع القرآنى النبوى، الذى يجعل من الإسلام حركته وعلاقته وسبيله.

ويمكن لنا أن نُجمل هذه الأخلاقيات، مفصلين القول عنها فيما يلي:-

١- **التحاب فى الله تعالى:** تتحقق المحبة فى الله عندما تكون خالية من الغرض، وإنما تكون بالتواصى بالحق والصبر والتعاون على الخير والذكر والدعوة والعلم^(١) ويكتمل إيمان العبد عندما يحب الله ويبغض الله، ويجد العبد حلاوة الإيمان عندما لا يحب المرء إلا الله تعالى، ويستظل العبد بظل الله يوم القيامة بمحبته لأخيه فى الله تعالى. والمتحابون فى جلال الله يظلمهم الله بظله يوم لا ظل إلا ظله، ويكونون على منابر من نور؛ ولذا وجبت محبته تعالى للمتحابين فيه والمتزاورين والمتبازلين فيه.

وثمة وسائل تحقق التحاب فى الله مثل التزاور فى الله تعالى، وإفشاء السلام، والتصديق فى الله، والتودد فى الله تعالى، والتواصى بالخير للمسلمين، والتعاون على تقوى الله وطاعته، والنصح والتذكير لله تعالى. وعندما يصل المسلم لمنزلة المتحابين فى الله فإنه يدخل فى دائرة قوله ﷺ: «إن من عباد الله أناسًا ما هم بأنبياء ولا شهداء يغبطهم الأنبياء والشهداء يوم القيامة بمكانهم من الله؛ فقالوا: يا رسول الله تخبرنا من هم؟! قال: هم قوم تحابوا بروح الله، على غير أرحام بينهم، ولا أموال يتعاطونها. فوالله إن وجوههم لنور، وإنهم لعلى نور، لا يخافون إذا خاف الناس، ولا يحزنون إذا حزن الناس. وقرأ ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يونس: ٦٢]^(٢).

وهم كذلك عن يمين الرحمن - وكلتا يديه يمين - يوم القيامة وقال عنه الرسول الكريم ﷺ: «جماع من نوازع القبائل؛ يجتمعون على ذكر الله؛ فينتقون أطيب الكلام كما ينتقى آكل التمر أطيبه»^(٣) وتأكيدًا للمعاني السابقة، وإعلاءً لشأن التحاب فى الله،

(١) يؤكد ذلك قوله تعالى عن موسى ﷺ عندما دعا الله تعالى أن يجعل له هارون وزيرًا، مبيّنًا الهدف من ذلك ﴿كَيْ تَسْبَحَكَ كَثِيرًا﴾ وَتَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴿ طه : ٣٣-٣٤. وقوله تعالى عن المؤمنين: ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ [العصر : ٣].

(٢) رواه أبو داود عن عمر بن الخطاب ؓ - ورواه النسائي وابن حبان عن أبى هريرة ؓ .

(٣) رواه مسلم فى كتاب الإمامة عن أبى بكر ؓ .

وتلاقى المسلمين على هدف واحد، والتقريب بينهم فإننا نرصد جانباً مهماً في أحاديث الرسول ﷺ، يشير لذلك، منها قوله: « إذا أحب الرجل أخاه فليخبره أنه يحبه »^(١) أى ليقبل له: إني أحبك في الله، فيقول له أخوه: أحبك الله الذى أحببتنى له. ومنها قوله ﷺ: « أن رجلاً زار أخاً له في قرية أخرى فأرصد الله له مדרجته ملكاً » إلى قوله: « إن الله قد أحبك كما أحبته فيه »^(٢).

والذى نؤكد عليه أنه بالتحاب في الله تعالى، بتحقيق معانيه السابقة، فإن المجتمع المسلم تتأزر علاقاته وروابطه وفق منهج الله تعالى، ويتحقق مفهوم الجسد الواحد، وتتجسد مشاعره في اتجاه واحد وتنصب روافد أخوته في معين التواصى بالخير، والتواصل في حب الله، والتلاقى على طاعته.

٢- الإيثار: يقول الله تعالى مادحاً الأنصار بالمدينة، الذين يؤثرون غيرهم من المهاجرين على أنفسهم ﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحْجُونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [الحشر: ٩].

فالإيثار سمة للمسلم؛ فمتى رأى محلاً للإيثار أثر غيره على نفسه، وفضله عليها، فقد يجوع ليشبع غيره، ويعطش ليروى سواه، بل قد يموت في سبيل حياة الآخرين^(٣) انطلاقاً من معانى الكمال، وحب الفضيلة، والجميل، مما يكتسبه المسلم، وتشبع به روحه.

وعندما يفعل المسلم ذلك فإنه يتأسى بأخلاق الرسول الكريم وصحابته، الذين طبقوا هذا الخلق العظيم، واستمدوا ذلك من ينابيع الحكمة، وخاضوا في أنوار الهدى،

(١) رواه أبو داود والترمذى عن المقدم ﷺ .

(٢) رواه مسلم عن أبي هريرة ﷺ .

(٣) في الأدبيات الإسلامية نماذج عدة لذلك، منها فداء على بن أبى طالب كرم الله وجهه للرسول الكريم ﷺ في حادث الهجرة، عندما على فراش الرسول ﷺ ضارباً أروع الأمثلة في الإيثار والتضحية. وفي موقعة اليرموك شاهد مشهداً مؤثراً لثلاثة من المجاهدين، ويؤثر كل منهم الآخر على نفسه في شربة ماء، ويموت الثلاثة [الشهداء الأبرار] مقدمين أعلى مثال في الإيثار وتفضيل الغير على النفس. وقدم الصحابة أمثلة فريدة لذلك، وتذكر هذا الصحابى الجليل الذى أثر ضيفه على نفسه وأهله، وأوهم ضيفه أنه يأكل معه بعد أن أطفأ السراج، وقد عجب الله من صنيعه كما أخبره رسول الله ﷺ بذلك.

فالمسلم عندما يحيا لله تعالى ويصل نفسه بالسماء، فإن الدنيا عندئذ ستصغر في عينيه، فطبيعى أن يحب الخير لغيره ويؤثر غيره من المسلمين على نفسه؛ لأنه سيجد عند الله ما هو أعظم من ذلك وأبقى وأفضل.

وأنت تجد السمو والعظمة في حث الإسلام على عطاء المسلم لغيره، فإيانه
الحقيقى لا يتأتى عندما يبست شبعاناً وجاره جائع، ولا يتحقق كذلك إلا عندما يحب لأخيه ما يحبه لنفسه.

وفي المجتمع المسلم ينهج الأفراد نهج صحابة رسول الله ﷺ، مؤثرين غيرهم من المسلمين على أنفسهم، متغلبين على شُح النفوس، وموقنين بعظم الأجر والثواب عند الله تعالى، وتجد صدق ذلك في علاقة المسلم بأخيه؛ حيث روح الإيثار والحب والرغبة في الخير، مما يقوى أو اصر القربى والقوة في المجتمع، ومما يبرز هويته الروحية وسمو الوازع الدينى فيه، وقوة الخير فيه، وعظمه هذا المجتمع عندما يتشرب أفراد هذا الخلق العظيم، ويكون سلوكاً لهم، جزءاً من تكوينهم القيمى.

٣- الإخاء: تستمر الأخوة في الله إذا كانت على تقوى وهداية ﴿الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف: ٦٧]. ومسايرة لفطرة الله تعالى، الذى خلقنا شعوباً وقبائل، وجعلنا أئماً، وأوجب التقارب لا التباعد، والتعارف لا التنافر، والترابط لا التفكك، والتآخي لا التعادى.

وفي المجتمع المسلم حيث يجتمع الكل على عقيدة واحدة؛ فالتعارف يكون إعرازاً وتجديداً بين الخلق، والأخوة الخالصة تكون مؤلفة بين المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها، وتجعلهم وحدة راسخة البناء " وهذه الأخوة هى روح الإيمان الحى، ولباب المشاعر الرقيقة التى يكنها المسلم لإخوانه، حتى إنه ليحيا بهم ويحيا لهم، فكأنهم أغصان انبثقت من درجة واحدة أو روح واحدة حل في أجسام متعددة^(١).

ويقدم الإسلام آداباً شاملة من شأنها تقوية الأخوة الإسلامية مثل عدم ظلم المسلم لأخيه المسلم، وعدم احتقاره، ونصرته، وحرمة دمه وعرضه وماله، والتبسم في وجهه، وتأدية حقوقه عليه مثل أن يعود إذا مرض، وأن يجيبه إذا دعاه، وأن يشهده إذا مات، وأن يرد عليه السلام، وأن يشتمه إذا عطس، وأن ينصح له، وأن يكون أليفاً

(١) محمد الغزالي: خلق المسلم، مرجع سابق، ص ١٧٤.

لإخوانه، مألوفاً لديهم، ليناً ولطيفاً وسهلاً، وألا يخذعهم أو يمازح معهم بغير الحق، وألا يخلف معهم الموعد، وألا يخونهم، وألا يكذب عليهم، وألا يتعالى عليهم ويجسد الرسول الكريم ﷺ الصفات الذميمة، التي تحول دون الأخوة الصحيحة، فيقول «لا تقاطعوا ولا تدابروا، ولا تباغضوا، ولا تحاسدوا، وكونوا عباد الله إخواناً، ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث»^(١) ويجسد كذلك واجبات المسلم نحو أخيه، فيقول «المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يُسلمه. من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه بها كربة من كرب يوم القيامة ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة»^(٢).

والإقرار بحقوق المسلم والقيام بها تحقيق للمشاركة في الخير والشر، ومحبة النفع للمسلم، والاجتهاد في عونه، وتقديم المساعدة، والتي يحتاج إليها المجتمع لإرساء أركانه، وصيانة بنيانه، الذي لا يكون قوياً إلا بذلك. ففعل أخوة الدين يكون المسلم ظهيراً وسنداً لإخوانه، ناصرًا لهم، وراشداً لمن ضل، ومذكراً لمن غفل، وآخذاً له حقه إذا ظلم، غارساً للطمأنينة في قلبه^(٣).

وفي المجتمع المسلم تقوى أوامر الأخوة، ويلتقى الجميع على شعائر الإسلام، ويقوم إخاء العقيدة الذي أقام به الرسول دولته - مقام إخاء النسب، حيث تعلق رابطة العقيدة، وترتفع فوق إخاء النفع والدنيا، وتسمو عن كل نفع، وتستمد قوتها من مفهوم الجسد الواحد.

٤- التسامح: لا يشك أحد في أن التسامح سمة لازمت الإسلام منذ نزل الوحي وحتى الآن، فقد تأكد لكل ذى عقل أن الإسلام دين يدعو للتسامح، وأكدت ممارسات الرسول ﷺ ذلك، كما تنطق صور التاريخ الإسلامى بأن المسلمين تميزوا بسماحتهم، وارتفاع رصيدهم في العفو والصفح والرفق.

(١) رواه البخارى ومسلم وأحمد وأبو داود عن أنس ؓ.

(٢) رواه البخارى ومسلم عن عبدالله بن عمر رضى الله عنهما.

(٣) في كل تعاليم الإسلام تجد هذه الروح، التي ترعى الإخاء، وتنبذ العصبية والشقاق، وتحافظ على نفسية مؤمنة هادئة، لا تتعرض لقلق أو إيذاء من مسلم آخر.. ونجد ذلك واضحاً في قول الرسول الكريم ﷺ: «لا يحل لمسلم أن يروع مسلماً» وقوله: «من نظر إلى مسلم نظرة يخيفه فيها بغير حق أخافه الله يوم القيامة» وقوله: «من أشار إلى أخيه بحديدة فإن الملائكة تلعنه حتى ينتهى، وإن كان أخاه لأبيه وأمه» رواه مسلم (٢٦١٦)..

والتسامح - في تصورنا - خلق متعدد الاتجاهات؛ حيث لا يقتصر تسامح الفرد على نفسه كخلق الصبر مثلاً ولكنه يمتد للآخرين، وينتقل من إطار الفردية إلى الجماعية، ومن هنا كان التسامح من الأخلاقيات المميزة للمجتمع المسلم في داخل بنائه، وفي علاقته بغيره من المجتمعات الأخرى (ما لم يكن في ذلك إسقاط لحق مقرر للمجتمع المسلم).

والتأمل للقرآن الكريم يجد الدعوة للعفو والصفح ﴿ فَأَعْفُوا وَأَصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ﴾ [البقرة : ١٠٩]. ﴿ وَإِنْ تَعَفُّوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [التغابن : ١٤]. إلى غير ذلك من الآيات الكريمة التي تحث على ذلك^(١) والشئ نفسه في أدب النبوة؛ حيث تلمس ذلك في صفح الرسول عن قومه بعد فتح مكة، وفي عفوهِ عن الأعراب الغلاظ، وفي تسامحه مع كبير المنافقين عبد الله بن أبي بن سلول.

وتأكدت سماحة المسلمين في فتوحاتهم الإسلامية، وفي معاملة غير المسلمين، والإحسان في معاملتهم، والتسامح مع الأرقاء، ومع أسرى الحروب، مما لا نجد له نظيراً في الديانات الأخرى.

والذى خلص إليه - تطبيقياً - أنه بتسامح المسلمين فإنهم يقدمون صورة صحيحة لدينهم، وهذا يفتح باباً عظيماً في الإسلام. وإن الالتزام بهذا الخلق هو بُعد عن دوائر الشقاق والخلاف، والسمو بالأفراد فوق التوافه، وتجاوز الصغائر، وهو اقتراب من تطبيق روح الإسلام في حياتنا وعلاقاتنا.

٥- رد المعروف: حثاً على الخير، وتعزيزاً لمن يصنع معروفاً أن يكثر من فعله، فإن ديننا يأمرنا ليس بعمل المعروف فقط، بل أن نُحسن إلى من فعل ذلك، وأن نُرد له ذلك بأية وسيلة متاحة وفي ذلك جاء قوله ﷺ: « من سأل بالله فأعطوه، ومن استعاذ بالله فأعيذوه، ومن دعاكم فأجيبوه، ومن صنع إليكم معروفاً فكافئوه؛ فإن لم تجدوا ما تكافئونه فادعوا له، حتى تروا أنكم قد كافأتموه »^(٢).

(١) لمزيد من الشرح يشار إلى بحث منشور للمؤلف تناول (التسامح في الإسلام .. وأثره في حياة الأمة) ١٤١١ هـ وعرض فيه معنى المصطلح في القرآن الكريم، وتطبيقاته في الأدب النبوي الشريف، في معاملة غير المسلمين، مع الأرقاء، وفي الحروب الخ ثم ناقش فاعلية التسامح في حياة الأمة الإسلامية.

(٢) رواه أبو داود والنسائي عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

وذلك لأن المكافأة على المعروف من المروءة التى يجبها الله ورسوله، «ولا يهمل المكافأة على المعروف إلا اللئام من الناس، وبعض اللئام يكافئ على الإحسان بالإساءة؛ بخلاف أهل التقوى والإيمان فإنهم يدفعون السيئة بالحسنة، طاعة لله ومحبة لما يحبه ويرضاه»^(١).

وتدرجاً في رد الجميل، وتيسيراً على الناس، نُدب إلى الدعاء في حق من لم يجد المكافأة العينية مكافأة؛ فيدعوه على حسب معروفه، وبما ينتاسب مع ما قدم.

والمجتمع المسلم يزداد خيراً وينمو عندما يبقى حياً ويقظاً ومستمراً، وعندما لا ينساه أهله، وساعة أن يرد الجميل بالإحسان، فإن هذا يُرضى من فعله، ويجعله أكثر عطاءً وعوناً، وهذه سمة تميز المجتمع المسلم، الذى يتواصل أفرادُه ببرد المعروف لصانعيه.

٦- قضاء حاجة المسلم: اختص الله تعالى بعض عباده بقضاء حوائج المسلمين، وهؤلاء في منزله عظيمة، تعدل الجهاد في سبيل الله؛ وهذا ما تؤكدُه أحاديث كثيرة، منها قوله ﷺ: «إن الله خلقنا اختصهم بقضاء حوائج الناس؛ يفرغ الناس إليهم في حوائجهم أولئك الآمنون من عذاب الله»، وقوله: «إن الله خلقنا خلقاً خلقهم لقضاء حوائج الناس، آلى على نفسه ألا يعذبهم بالنار، فإذا كان يوم القيامة وضعت لهم منابر من نور»، وقوله ﷺ: «لأن أمشى في قضاء حاجة أخى أحب إلى من أن أعتكف في مسجدي هذا».

والذين يقومون بقضاء حوائج المسلمين هم أنفع الناس وأحبهم لله تعالى، وذلك لما لهم من فضل وسبق، ولذلك كان الله تعالى في عونهم، ويسر لهم، ويقضى عنهم ما داموا يقومون بذلك، فإن لم يفعلوا أو ملوا ذلك فإن الله يختص غيرهم بذلك. قال ﷺ: «إن لله عند أقوام نعمًا يقرها عندهم ما داموا في حوائج الناس ما لم يملوا، فإذا ملوا نقلها إلى غيرهم».

وفي المجتمع المسلم لا يدخر الأفراد وسعاً في عون إخوانهم، ومد العون لهم، تحقيقاً للأخوة الإسلامية وإجراءً للخير على أيديهم، وإقراراً بفضل الله عليهم، طلباً للخيرية والجزاء، وأداء حق ما اختصهم الله به، وما ميزهم على غيرهم.

(١) عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ: فتح المجيد (شرح كتاب التوحيد)، تحقيق محمد حامد الفقى، لاهور، أنصار السنة المحمدية، ب. ت ص ٤٥٨.

٧- **الاتحاد:** يتجه الخطاب الإلهي للجماعة بالأوامر والنواهي، مثل قوله تعالى: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الحج: ٧٦-٧٧].

وتأكيد مفهوم الأمة الواحدة ﴿وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ [المؤمنون: ٥٢]، يتحقق بعد تصديق الدين، والتفرق، والاختلاف؛ لذا ينهانا الله عن ذلك ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٠٥].

فتوحيد الصفوف مطلب إسلامي ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَنٌ مَرْصُومٌ﴾ [الصف: ٤]. وائتلاف القلوب والمشاعر واتحاد الغايات واجتماع الكلمة أمور أساسية في تدعيم وحدة الأمة، ودوام دولتها، وبقائها.

وأنت تجد في كل العبادات الإسلامية تحقيق لذلك؛ ففي صلاة الجماعة يتأكد ذلك، وفي الحج يتلاقى أجناس المسلمين، بل نجد تحذير الرسول الكريم ﷺ من الفرقة والاعتزال؛ فالله تعالى مع الجماعة، والشيطان يستأثر بالفرد، النائي عن الجماعة، والخارج على جماعة المسلمين يموت ميتة جاهلية كما جاء في الحديث: «من خرج عن طاعة وفارق الجماعة فمات، مات ميتة الجاهلية»، وقوله: «من خرج على أمتي يضرب برها وفاجرها، ولا يتحاشى من مؤمنها، ولا يفى بعهد ذي عهدها، فليس مني ولست منه». وقوله: «ستكون هنات وهنات، فمن أراد أن يفرق هذه الأمة وهي جميع، فاضربوه بالسيف كائنا من كان».

فالإسلام يجمع الناس حوله، وإذا لم توحدهم عبادة الرحمن مزقتهم الأهواء ومتاع الدنيا؛ ولذا يكره الإسلام للمسلم أن ينحصر في نطاق نفسه، وأن ينعزل وينأى بمصلحته عن مصلحة الجماعة.

وثمة حكم وراء ذلك، منها: أنه في ظل الوحدة والاتحاد قد يتغلب الأفراد على أخطائهم، وعلى بعض طبائعهم السيئة التي تموت وتنزوي في ركب الجماعة.

ونخلص مما تقدم إلى حرص الإسلام على حفظ كيان الأمة وسلامتها، وهو لذلك يدعو الأفراد إلى التكاتف على إخراج الأمة من الشقاق، وإدخالهم تحت يد الله تعالى، التي هي مع الجماعة، ويحارب الشقاق والتنافر، اللذين يهددان الأمة بالانهيار.

٨-١ **مر بالمعروف والنهي عن المنكر:** وهو خلق إسلامي عظيم، ابتعث الله من أجله النبيين أجمعين، وجعله أمراً واجباً على هذه الأمة ﴿ وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٤]، وجعله سمة للخيرية فيها، فقال: ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾ [آل عمران: ١١٠]، وجعله صفة للمؤمنين ﴿ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾ [التوبة: ٧١]، وذم الله اليهود لتركهم النهي عن المنكر ﴿ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾ [المائدة: ٧٩]. وبذا استحقوا لعنة الله. ونجى الله أقواماً لنهيمهم عن المنكر ﴿ أَجْنَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ ﴾ [الأعراف: ١٦٥].

ولأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر له شأن كبير في صلاح المجتمع، فقد أبانت السنة عن مراتبه، وأنه يكون باليد واللسان والقلب، وأنه إذا لم يؤخذ به فإن الله يستجيب لدعائنا، بل ويوشك أن يبعث علينا عقاباً كما حدث لبنى إسرائيل، وعدته كذلك أفضل الجهاد، وحذرت من الأمر بالمعروف ومخالفته، والنهي عن المنكر ثم إتيانه، وهو أكبر المقت عند الله تعالى.

وفي المجتمع المسلم تكون النصيحة لله تعالى، والتوجيه أمر ضروري لكل مسلم، وكذلك التذكير بالكلمة الطيبة، وإذا فعل كل فرد ما يحلو له لتحول المجتمع إلى غابة، ولحق الضرر بالآخرين، كما جاء في حديث السفينة « فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعاً »^(١).

ولا يتحقق صلاح المجتمع عندما لا يتواصى أفرادها بالخير، وعندما يرون المنكر ولا يغيرونه ويسكتون عنه، وعندما يؤمر بالمنكر وينهى عن المعروف، وعندئذ يضيع الحق بين أهله، ويصير المنكر معروفاً، والمعروف منكراً، وعندما يهمل النصيح والإرشاد يكثر الفساد، ويتنشر الضلال، ويضعف العمل بالدين ويسترسل الناس في اتباع الهوى والشهوات، ويعتاد المنكر ويصبح مألوفاً، بل قد يراه البعض معروفاً.

(١) رواه البخاري عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما - وهو حديث طويل.

٩- **صلة الرحم**: صلة الرحم مفتاح الوصول إلى رضوان الله، إذ أن من أسباب انقطاع العبد عن الله قطعه للأرحام ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴾ [محمد: ٢٢]. لأن الله خلق الرحم، وجعل اسمها من اسمه، وتعهد سبحانه بأن يصل من وصلها، ويقطع من قطعها، ويقول ﷺ «لا يدخل الجنة قاطع رحم»^(١).

وتكون صلة الرحم بالهبة والهدية والزيارة والسلام، والصدقة، ومداومة الصلة ووصلها عندما تقطع، وقد ذهب رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله إن لي قرابة، أصلهم ويقطعونني وأحسن إليهم ويسيئون إليّ، وأحلم عنهم، ويجهلون عليّ قال: «لئن كنت كما قلت فكأنما تسفهم المل، ولن يزال معك من الله ظهير عليهم ما دمت على ذلك»^(٢).

ورغم أن الإسلام يأمر بالتراحم العام، وجعله من دلائل الإيمان «لن تؤمنوا حتى تراحموا» «من لا يرحم لا يرحم» وأمر برحمة المسلمين؛ إلا أن حقوق الأقارب، وأصحاب صلات الدم أجدر بالعطف والعطاء والصلة ووجب على المسلم مواساتهم وعونهم والبر بهم والإحسان إليهم، وفي ذلك مضاعفة للأجر والثواب.

ونجد أحاديث عدة تؤكد معاني عظيمة في هذا الصدد، منها أن صلة الرحم توسع في الرزق، وتطيل في العمر، وأن الله يجعل لقاطع الرحم العقوبة في الدنيا، وأن الرحمة لا تنزل على قوم فيهم قاطع رحم، وأنها محبة في الأهل، ويدفع الله بها المكروه وميتة السوء، ويعمر الله بها الديار.

وإذ يؤكد الإسلام على ضرورة صلة الرحم فهذا حرص على تدعيم العلاقات بين المسلمين، وخاصة بين ذوى القربى وأصحاب الحقوق، فهم أولى بالرعاية والإحسان، أكان ذلك براً بالوالدين والإحسان إليهما، أو وصلاً بالأقارب، وعطاء لهم، وهذا لا يُنقص من شأن الرحمة لكل المسلمين ووصلهم، ولكنه تقديم للأهم، وبداية بذوى الحقوق أولاً ثم تكون الرحمة العامة، التي تحقق التراحم والتحاب والتواصل والتقارب بين أبناء المجتمع المسلم.

(١) رواه الشيخان وغيرهما عن جابر بن مطعم ؓ.

(٢) رواه مسلم عن أبي هريرة ؓ.

ولذا تكون آثار الرحمة العامة بادية في إغاثة الملهوف، ومساعدة الضعيف، وإطعام الجائع، وكسوة العارى، ومداواة المريض، ومواساة الحزين، والرفق بالحيوان، وهى كلها آثار اجتماعية عظيمة، لا تكون إلا فى مجتمع مسلم متراحم.

١٠- **حق الجار:** يقرر الإسلام حقوقاً للجار، وآداباً فى معاملته واجبة على المتجاورين معه ﴿وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ﴾ [النساء: ٣٦]. ونجد ربطاً وثيقاً بين الإحسان إلى الجار والإيمان، « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره»^(١)، «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذى جاره»^(٢)، « ما زال جبريل يوصينى بالجار حتى ظننت أنه سيورثه»^(٣).

ونجد كذلك تأكيداً على ضرورة أن تكون عبادة المسلم متمشية مع الإحسان إلى جاره، وأنه مهما ارتقى فى طاعته لله وأفرط فى حق جاره أو آذاه فإن طاعته ليست بواقية له من عذاب الله، [قال رجل: يا رسول الله: إن فلانة تذكر من كثرة صلاتها وصدققتها وصيامها، غير أنها تؤذى جيرانها بلسانها، قال: «هى فى النار» قال: يا رسول الله: إن فلانة تذكر من قلة صيامها وصلاتها، وأنها تصدق الأثوار من الأقط ولا تؤذى بلسانها جيرانها قال: «هى فى الجنة»]^(٤).

وتتفاوت حقوق الجيران بمقدار قربهم من جارهم وحسب وضعهم ودينهم، فالجار ذو الرحم له حقوق ثلاثة (حقوق الجوار والإسلام والرحم) والجار المسلم له حقان (حق الجوار والإسلام) وأما الذى له حق واحد فالجار المشرك.

وحرصاً من الإسلام على توسيع دائرة الجوار والتعاطف؛ فقد جعل النبى ﷺ أربعين داراً جاراً، مما يزيد من واجبات المسلم نحو كل من جاوره وإن بعدوا. كما أكد واجبات أخرى بجوار الإحسان إليه مثل نصرته إذا استنصر، وعونه إذا طلب، وعيادته، وتهنئته، وتعزيته، وإلانة الكلام معه، والتلطف معه ومع أولاده، والنصح له وإرشاده، وعدم التطلع إلى عوارته، والصفح عن زلاته، وعدم مضايقته فى البناء، وعدم تقدير بيته، وإسداء المعروف والخير إليه، والإهداء إليه من طعام، واحترامه واستشارته.

(١) رواه مسلم عن أبى شريح الخزاعى ؓ.

(٢) رواه الشيخان وغيرهما عن أبى هريرة ؓ.

(٣) رواه الشيخان وغيرهما عن ابن عمر رضى الله عنهما.

(٤) رواه أحمد والحاكم، وابن حبان عن أبى هريرة ؓ.

وهذه كلها آداب اجتماعية؛ من شأنها صلاح المجتمع، وبث الود والراحة والطمأنينة بين أفرادها في إطار شرع حكيم؛ يحفظ الحقوق، ويرسى الواجبات، ويقرر المسؤوليات الاجتماعية.

١١- حق أهل الكتاب: يحث الإسلام على دعوتهم بالحسنى ﴿وَلَا تُجْدِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾ [العنكبوت: ٤٦]. وحث النبي الكريم ﷺ على التسامح معهم، والرفق بهم «من ظلم معاهدًا أو انتقصه أو كلفه فوق طاقته أو أخذ منه شيئًا بغير طيب نفس أنا حجيجه يوم القيامة».

والمعاهدون منهم لهم حقوقهم المصونة ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ [المائدة: ١]. وليس خافيًا أن الإسلام أقر للمسلم حق الزواج من الكتابية، وأحل لنا طعام أهل الكتاب، وجعل كمال الإيمان مرتبطًا بالإيمان بالشرائع السابقة، على نحو ما أوضح القرآن الكريم.

ولذا فقد أظهر النبي ﷺ وأصحابه وقواد المسلمين سماحة حقيقية فيما عقدوا من صلح مع البلاد التي فتحوها؛ رغم أن المنتصر كان من شأنه أن يستبد ويملى شروطًا بدافع الغرور والانتقام، ولكن المسلمين كانوا في معاهداتهم كرامًا؛ فأقروا أصحاب البلاد على عقائدهم وشعائهم الدينية، وأوصوا برعايتهم، والمحافظة عليهم وعلى أموالهم.

وأقر الإسلام الوفاء بعقد الذمة معهم، وعد إكرامهم على اتباع دينهم أو إجبارهم على اتباع الإسلام، كذلك الإحسان إليهم في المعاملة، وعدم التعالي عليهم وإذلالهم، وحسن التقاضي معهم، وإجزال العطاء لهم، ومراعاة السن والحاجة كما حدث لعمر الفاروق رضي الله عنه مع اليهودى الضرير.

وفي عهد النبوة كان اليهود في المدينة أمة مع المؤمنين، لهم دينهم وشريعتهم، على مدى التاريخ الإسلامي أخذ الكتابيون حقوقًا لم يحصلوا عليها من قبل. وليس ثمة مشكلة بين المسلمين وأهل الكتاب لكن الخلاف الحقيقي بين الإسلام والعلمانيين، ممن يرفضون الدين، أو يجعلونه هامشيًا، ويتعلقون بالعقل والمدنية، وينزعون إلى الهوى والضلالة باسم التحرر وإعمال العقل والحرية الشخصية.

وبعد أن عرضنا للقسم الأول (أخلاق أساسية في البناء الاجتماعي والعائلي للمجتمع المسلم) فإننا نؤكد أن الصفات التي رصدناها تمتد لتشمل مساحات واسعة في المجتمع؛ من تحاب في الله، وإيثار للآخرين على النفس، والتآخي في الله، والتسامح مع المسلمين وغيرهم، ورد المعروف ومكافأة صانعيه، واتحاد الكلمة المسلمة والصفوف، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وصلة الرحم، وأداء حق الجار، والإقرار بحق أهل الكتاب، وهي كلها إن عُمل بها تمثل بنيات أساسية ودعامات قوية في بناء المجتمع.

ولسنا نزع من الأخلاقيات التي رصدناها هنا هي كل الأخلاق الأساسية، فثمة أخلاق اجتماعية أخرى لم نتناولها مثل التعاون على البر والتقوى، وأداء حقوق كل المسلمين المقررة والعطف على اليتامى والمساكين، وأداء الصدقات، والمودة والإصلاح بين الناس وبر الوالدين، والكلمة الطيبة، وأداء الأمانات والوفاء بالعهد، وستر عورات المسلمين، وإكرام الضيف.. الخ ولم نغفلها إقلالاً من شأنها، أو تقديراً للأهم - مما عرضنا له - أو تغليلاً لغيرها عليها، وإنما ذكرنا الأخلاقيات السابقة كمختارات للجانب الاجتماعي والعائلي في الأخلاقيات الإسلامية؛ لأن منطلقنا في ذلك أن الإسلام به من المضامين الأخلاقية ما يسمو بالمجتمع، وما يقيم البناء الصلب له، وما يحفظ للأفراد حقوقهم وما يقرر واجبات على المسلم نحو إخوانه، وما جعل البناء الفوقي للمجتمع معبراً عن صفاء النفوس واستقامتها، وعن نقاء القلوب وطهارتها، أما البناء التحتي المتمثل في الأخلاق ذات الجانب الفردي - لحد ما - فهذا ما سنعرض له فيما يلي:

القسم الثاني: أخلاق فرعية حميدة، يجب على المسلم اتباعها، والعمل بها

لا تنفصم الأخلاقيات ذات الجانب الفردي، والتي سنتناولها هنا عن الأخلاقيات ذات الجانب الجماعي أو ذات الأثر الاجتماعي مما عرضنا له .. وما أسمىناه بالبناء الفوقي للمجتمع المسلم من أخلاقيات اجتماعية له ينفصم كذلك عن البناء التحتي له، مما ينتج من الأخلاق الفردية الحميدة. فكلاهما يلتقيان في نقطة واحدة، بل وينبعان قبلاً - من رافد واحد هو حُسن الخلق.

ونقرر هنا أنه ليس بوسعنا أن نغفل الأثر الطيب لكل خلق إسلامي في نفوس الناس، ويمكن أن نشاهد الأثر المحس لكل خلق حميد في سلوكيات المسلم، مما يجعله صورة جيدة للإسلام، ومما يجعل صاحبه قرآنياً، ونورانياً.

والأخلاقيات التي سنعرض لها رغم ما يبدو من فرديتها واقتصرها على التزام صاحبها وطاعته واستجابته إلا أن جانبها التأثيرى عظيم، وهى ناطقة بامثال الأفراد لله تعالى، ومعبرة عن صورة صادقة للمجتمع المسلم؛ الذى يستمد قوام خلقه وسلوكه من كتاب الله تعالى وسنة رسوله وسيرة الصحابة والتابعين.

ويمكن تناول هذه الأخلاقيات فيما يلي:

١- الصدق: يلتزم المسلم بالصدق ظاهراً وباطناً فى أقواله وأفعاله، فالصدق من متممات الإيمان ومكملات الإسلام، إذ أمر الله به، وأثنى على المتصفين به ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [التوبة : ١١٩]. ﴿وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ﴾ [الأحزاب : ٣٥]. وهو طريق الجنة؛ قال رسول الله ﷺ: « إن الصدق يهدى إلى البر، وإن البر يهدى إلى الجنة، وإن الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صديقاً»^(١).

وللصدق ثمرات طيبة؛ يجدها الصادقون فى طمأنينة النفس، وراحة الضمير، والبركة وزيادة الخير « فإن صدقا وبيننا بُورك لهما فى بيعهما »^(٢)، وبلوغ منزلة الشهادة «من سأل الشهادة بصدق بلغه الله منازل الشهداء وإن مات على فراشه»^(٣)، وهو المنجى يوم القيامة ﴿ هَذَا يَوْمٌ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ ﴾ [المائدة : ١١٩].

ويبرز صدق المسلم فى حديثه؛ بتجنبه الكذب؛ الذى هو إحدى آيات النفاق، وفى صدق المعاملة، وفى صدق العزم، وفى صدق الوعد، وصدق الحال. والأهم من ذلك الصدق مع الله تعالى: ﴿ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ ﴾ [الأحزاب : ٢٣]. ﴿ لَيَجْزَىَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ ﴾ [الأحزاب : ٢٤].

ومن سمات خلق المسلم أن يبتعد عن الكذب؛ لأنه رذيلة وإثم وممرض ونفاق وافتراء؛ لذا لا يكون المؤمن كذاباً، ولا يتحقق إيمان العبد إلا بترك الكذب، أكان كذباً فى التجارة أو الشهادة أو المدح أو المزاح أو الكذب على الله أو على رسوله « من كذب على

(١) رواه الشيخان وغيرهما عن عبدالله بن مسعود ؓ .

(٢) رواه الشيخان وغيرهما عن حكيم بن خزام ؓ (جزء من حديث طويل).

(٣) رواه مسلم عن سهل بن حنيف ؓ .

متعمداً فليتبوأ مقعده من النار»^(١)، أو على مسلم «كبرت خيانة أن تحدث أخاك حديثاً، وهو لك مصدق، وأنت له كاذب»^(٢)، أو على النفس «أفرى الفرى أن يرى الرجل عينيه ما لم تريا»^(٣).

وتجد صدى صدق المسلم في المجتمع المسلم؛ الذي لا تكون فيه وعود كذبة، أو إخلاف للوعد، أو إهدار للكلمة؛ ولذا عندما تصدق الأعمال والأقوال، ويبتعد عن الفجور، والتخبط والادعاء والافتراء؛ فإن المجتمع يرتقى إلى قمة الخير والبر والصلاح ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٧].

٢- الإخلاص: من الركائز المهمة في حياتنا الإيمانية اتجاه الأعمال إلى الله تعالى وإحسان النية، وإخلاص العمل ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [البينة: ٥]. والتأكيد على إطلاع الله تعالى على القلوب ومراقبة أعمالنا وصدورنا، ومعرفة ما خفى منها وما ظهر ﴿قُلْ إِنْ تُخَفُّوْا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوْهُ يَعْلَمُهُ اللَّهُ﴾ [آل عمران: ٢٩]. وعلى أن المحور الرئيس في العبادات وكل الأعمال ما تكنه من نية، تُصير كل الأعمال وتحرك كل الجوارح وتمثل ميزاناً دقيقاً لأعمالنا «إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى..»^(٤).

ومن مُحركات الأعمال لدى المسلم شعوره بالمراقبة، وهذا يجعله مخلصاً مع الله تعالى «إن الله لا ينظر إلى أجسامكم، ولا إلى صوركم، لكن ينظر إلى قلوبكم»^(٥) ولذا يحاسب الله تعالى الناس على قدر إخلاصهم وحسن توجههم؛ ذلكم لأن الإخلاص سر بين العبد وربّه، والله تعالى أغنى الشركاء عن الشرك؛ لذا فإشراك المسلم لأحد مع الله في نية أعماله هو رياء مذموم ﴿يُرَآءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ١٤٢]. وابتغاء المسلم للأجر والثواب من غير الله تعالى يقربه إلى عمل أهل النار «من تعلم علماً مما يبتغى به وجه الله لا يتعلمه إلا ليصيب به عرضاً من الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم

(١) رواه البخارى عن أبى هريرة ؓ.

(٢) رواه البخارى عن أبى هريرة ؓ.

(٣) رواه البخارى عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما.

(٤) رواه الشيخان عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ؓ (وهو صدر حديث طويل عظيم).

(٥) رواه مسلم عن أبى هريرة ؓ.

القيامة»^(١) بل إن مثل هذه الأعمال تجعل المرء من أول من تسعر بهم النار يوم القيامة، وعده رسول الله ﷺ شرًا خفيًا؛ حيث يريد الإنسان بعمله الدنيا، ويريد استحسان الناس لفعله « ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم عندى من المسيح الدجال! قالوا: بلى يا رسول الله، قال: الشرك الخفى، يقوم الرجل فيصلى فيزين صلاته لما يرى من نظر رجل»^(٢).

و ثم أمور نلح عليها بشأن إخلاص المسلم، أبرزها أن صلاح النية وإخلاص الفؤاد لله، يرتفعان الأعمال الدنيوية لمنزلة العبادة المتقبلة، وأن خبث الطوية وفساد النية؛ يهبطان بالطاعات لمنزلة المعاصي، ولا ينال المرء منها إلا التعب والفشل^(٣).

كما أن الإخلاص هو خليقة المسلم، وهو الشرارة الموقظة لعمله، هو فضيلة تنقى الأعمال من الرياء، وتتغلب على حب الدنيا والأثرة، وحب الثناء، والرغبة في التفاخر والعلو، وتجعل الأعمال مجردة عن الهوى والريغ والأغراض والشهوات.

٣- الحياء .. الحياء خلق للمسلم، فهو من الإيمان «والحياء شعبة من الإيمان»^(٤) ولا ينقسم الحياء عن الإيمان، فهما قرينان، وكلاهما داع للخير صارف للشر، وكلاهما يمنع صاحبه من التقصير في شكر المنعم، والتفريط في حق الله، وارتكاب المعاصي؛ لذا فإن الحياء خير كله، ولا يأتي إلا بالخير.

وحياء المسلم يمنعه من البذاءة، وفحش القول والفعل والغلظة والجفاء، وهى كلها صفات أهل النار، وهذا ما يستفاد من قوله ﷺ: «الحياء من الإيمان، والإيمان فى الجنة، والبذاء من الجفاء والجفاء فى النار»^(٥) والحياء يتمثل فى أداء حقه «مَن حفظ الرأس وما وعى، والبطن وما حوى، وذكر الموت والبللى، وترك زينة الحياة الدنيا فقد استحيا من الله حق الحياء»^(٦).

(١) رواه مسلم عن أبى داود بسند صحيح عن أبى هريرة ؓ .

(٢) رواه أحمد عن أبى سعيد ؓ - مرفوعاً.

(٣) فى رسالة قيمة للإمام أحمد بن تيمية عن (العبودية فى الإسلام) بسط القول عن العلاقة بين الإخلاص والعبادة، وبين الرياء والعبادة، ويوصى بالرجوع إليها لمزيد من التفصيلات.

(٤) رواه الشيخان وغيرهما عن أبى هريرة ؓ (وهو عجز حديث طويل).

(٥) رواه أحمد بسند صحيح.

(٦) رواه الترمذى عن عبدالله بن مسعود ورواه الطبرانى عن عائشة ؓ .

ويكون حياء المسلم من الله تعالى بعدم معصيته، أو التقصير في طاعته «لأن الله تعالى أحق أن يستحيا منه من الناس»^(١) ويكون حياؤه من الناس بألا يقصر في أداء واجب لهم، وألا ينكر معروفاً، وألا يغلظ في القول وبذئ الكلام، وألا يكشف لهم عورة، «وقد كان رسول الله أشد حياء من العذراء في خدرها»^(٢) ونؤكد هنا أن حياء المسلم غير مانع له من قول حق، أو دفع ظلم، أو أمر بمعروف، أو نهى عن منكر. وعندما يتزع الحياء من المسلم تنزع منه الرحمة، ويهبط لمدرج الرذيلة؛ ويتعد عن الخلق المميز لهذا الدين؛ وهو الحياء. كما أنه يفقده الحياء لا يبالي بشيء، وتتغلب أهواؤه ونفسه وأثرته الجامحة، ولا يخجل من الظهور برذيلة أمام الناس، ولا يخجل من نفسه، التي غُمست في الشر.

إن الحياء هو الدين كله، وهو ملاك الخير، وعنصر النبل في كل عمل، وهو مانع للمسلم من أن يصنع ما يشاء، وهو ضابط لأعماله وأقواله وزيه وسلوكه ومظهره.

وليس الحياء صفة ذاتية للمسلم فقط؛ وإنما المجتمع المسلم حييٌ كذلك تُستر فيه العورات، وتؤدى فيه الحقوق، ويحافظ فيه على المشاعر، ويستحيا فيه من المعصية وفحش القول. ويتميز أفرادهم بحيائهم من الله تعالى، ومن الناس، وخجلهم من أنفسهم.

٤- الصبر: الصبر خلق للمسلم، يحبس فيه نفسه على ما تكره، ويتحمل فيه المكروه بالرضا والقول وقد أثنى الله تعالى على الصابرين ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٥]. ﴿إِنَّمَا يُوفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠]. وقال ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [الشورى: ٤٣]. وقال ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٣].

فالمسلم يصبر على طاعة الله تعالى، ويحبسها عن معصيته، وليس للجزع مقام في نفسه، ولا للسخط محل في سلوكه وردود أفعاله، ويكون كذلك الصبر على الضراء، فأمر المؤمن كله خير «إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له»^(٣).

(١) رواه البخارى عن أبى هريرة ؓ.

(٢) رواه البخارى عن أبى هريرة ؓ.

(٣) رواه مسلم عن أبى هريرة ؓ.

هو موقن أن الله تعالى مدخر له عنده الخير الكثير والجزاء العميم، يقول ﷺ: « ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن ولا أذى ولا غم حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله بها من خطاياها »^(١).

إن الله يبتليه، اختباراً له، فعظم الجزاء مع عظيم البلاء، وإذا أحب الله قوماً ابتلاهم. وهذا الابتلاء هو تطهير للمسلم وعافية له؛ يقول ﷺ: « ما يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة في نفسه وولده وماله حتى يلقي الله تعالى وما عليه خطيئة »^(٢).

ومُرشد المسلم وقودته هو رسول الله ﷺ؛ الذي صبر على إيذاء قومه، ورغم ذلك كان يرد السيئة بالحسنة ولا ينتقم لذاته، وفي حياة صحابته رضوان الله عليهم صور ناطقة وأمثلة حية على صبرهم وتحملهم، واحتسابهم الأجر عند الله، وعدم الشكوى والسُّخْط. وكان يقينهم أنهم بذلك يؤسسون دولة، ويضعون البنيان، وأنهم بذلك يستحقون السبق والفضل، كما حدث للسابقين الصابرين من بنى إسرائيل ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴾ [السجدة: ٢٤].

وصور الصبر لدى المسلم كثيرة؛ فهو يصبر على الفقر وضيق العيش، انتظاراً للنعيم مقيم في الجنة، ويصبر على المرض والبلاء؛ تكفيراً لذنوبه، ورضاً بقضاء الله، ويصبر على مجاهدة نفسه والانتصار عليها؛ مهما فتنته الدنيا وغرته بزخارفها. ويصبر على فقد الأهل والولد؛ لأن الله تعالى يعوضه خيراً عن ذلك في الدنيا والآخرة. كما قال ﷺ عن ربه تعالى: « ما لعبدى المؤمن عندي جزاء إذا قبضت صفيه (حبيبه) من الدنيا ثم احتسبه إلا الجنة »^(٣).

ويتسم المجتمع المسلم بيقينه بقدر الله تعالى، وعدم السخْط، مستعيناً بالطاعات، ومنتظراً ما أعده الله للصابرين من جزيل الأجر، وعظيم المنزلة، وبيقينه بأن حكم الله نافذ، أصبر أم جزع، غير أنه مع الصبر يكون الأجر ومع الجزع يكون الوزر.

٥- التوكل: التوكل جزء من عقيدة المؤمن، وهو خلق له ﴿ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ [المائدة: ٢٣]. ﴿ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ [إبراهيم: ١١]. ﴿ وَمَنْ

(١) رواه الشيخان وغيرهما عن أبي سعيد الخدري وأبي هريرة ؓ.

(٢) رواه الترمذى بسند صحيح عن أبي هريرة ؓ.

(٣) رواه البخارى عن أبي هريرة ؓ.

يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ» [الطلاق : ٣]. وليس التوكل قولاً بلا مضمون، ولكنه عمل واعتقاد وأخذ بالأسباب، وتفويض أمر النتائج إلى الله تعالى، والإيمان بالمشيئة ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ [الإنسان : ٣٠].

وأخذ المسلم بالتوكل الحقيقي قولاً وعملاً وحركة، وهو فتح لأبواب الخير والرزق « لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصاً وتروح بطاناً^(١)، وهو سبيل لرضوان الله والفوز بجنته « يدخل الجنة أقوام أفئدتهم مثل أفئدة الطير» أى المتوكلون^(٢)، ومن الذين يدخلون الجنة بغير حساب المتوكلون « هم الذين لا يرقون، ولا يسترقون، ولا يتطيرون، وعلى ربهم يتوكلون»^(٣).

ولذا ينافى توكل المسلم تعليق التهايم أو الودع أو القلائد؛ لأن هذا أدخل إلى الشرك، لأن مَنْ تعلق بشيء وكِلَ إليه، وهو ليس بنافع له؛ لذا أنكر رسول الله ﷺ ذلك، وتلا قوله تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾ [يوسف : ١٠٦]. وأقر ضره لفاعله (لا يزيده إلا وهناً).

وينافيه كذلك التبرك بحجر أو بشجر، والذبح لغير الله، والنذر لغير الله، والاستعاذة بغير الله، والاستغاثة بغير الله، والتوسل بولى إلى الله؛ لأن هذه الأعمال عُدت من الشرك.

وفى المجتمع المسلم يؤخذ بالأسباب، وتُترك النتائج لله تعالى، وفيه كذلك يبتعد الأفراد عن مغيبات العقول، وعن الاستعانة بغير الله، ويتأدب فيه الأفراد مع الله، ويوجهون كل أعمالهم إليه سبحانه، ومتوكلين على خالقهم؛ الحى الذى لا يموت ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِى لَا يَمُوتُ﴾ [الفرقان : ٥٨]، غير مستعينين بتهايم وقلائد، وغير معتمدين على عقولهم وحدها، ومُقدمين لمشيئة الله تعالى على كل ما عداها، ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [يس : ٨٢].

(١) رواه الترمذى عن عمر بن الخطاب ؓ.

(٢) رواه مسلم عن أبى هريرة ؓ.

(٣) رواه الشيخان وغيرهما عن ابن عباس رضى الله عنهما.

٦- المجاهدة: مجاهدة المسلم لنفسه، وبذله الجهد في الطاعات هو تحقيق للهداية الحقة ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩]. وتكون المجاهدة مقيدة بالشرع الحكيم وصولاً إلى نقاء القلب والسريرة، والاستعانة في سبيل ذلك بالطاعات مثل: قيام الليل، وذكر الله تعالى، وقراءة القرآن، والتدبر فيه، والابتعاد بالنفس عن إلف الراحة والكسل والشهوة والمتعة؛ لأن (الجنة حُفَّتْ بالمكاره وحفَّت النار بالشهوات)^(١) (والمجاهد من جاهد نفسه في ذات الله)^(٢)

وبذا فإن بذل الجهد يتغلب به المسلم على هوى نفسه؛ لتكون راحتها في طاعة الله ورسوله « لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به »^(٣). وهذا ما نجده - أيضاً - في قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ۖ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾ [النازعات: ٤٠-٤١].

والمسلم دائماً مشغول بالتكاليف وبفعل الخير، وبذا فإن نفسه متطهرة دائماً، فأداء العبادات مجاهدة، والالتزام بالآداب الإسلامية مجاهدة، والأخذ بالنوافل مجاهدة، والانتصار على النفس والشیطان مجاهدة، وابتعاد المسلم عن اللهو واللغو مجاهدة. فالمجاهدة تصبح سلوكاً في حياة المسلم عندما يتخلص من كيد الشيطان والنفس معاً.

وخالف النفس والشیطان واعصهما وإن هما مَحْضَاكُ النصح فاتهم
ولا تطع منهما خصماً ولا حكماً فأنت تعرف كيد الخصم والحكم

وفي القرآن العظيم تجد نداءات متكررة بالمجاهدة ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ﴾ [المائدة: ٣٥]. ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ﴾ [الحج: ٧٨]. ﴿وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ [العنكبوت: ٦]. ونجد جزاء ذلك في عظيم هداية الله وفضله ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ وَأَعْظَمُ أَجْرًا﴾ [المزمل: ٢٠].

(١) رواه الشيخان عن أبي هريرة ؓ .

(٢) رواه الترمذي عن فضالة بن عبيد ؓ .

(٣) ذكره النووي في الأربعين النووية عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما.

ومن معاني المجاهدة أن يغتنم المسلم نعم الله عليه مثل: الصحة، والفراغ، والشباب، والعمر اغتنامًا عظيمًا، وأن يتقرب إلى الله بكثير الطاعات، وأن يطيل القيام والسجود، ويديم شكر الله تعالى، ويكثر من الحمد والتسبيح، ويقر بفضل الله عليه في كل حين^(١).

وتلمس مجاهدة المجتمع المسلم في قوة أفراد، بانتصارهم على أنفسهم وأهوائهم، وتوجيه همهم لفعل الخيرات، والإكثار من الطاعات؛ ولذا فليس للهو ولا للغو ولا للعبث ولا للشهوات الكاسرة ولا للنزوات العارمة مقام لا محل فيه؛ وإنما تجدد الإقبال على ما يقرب للجنة من أعمال، وابتعاد عن الشهوات والملذات والمعاصي التي تلقى بصاحبها في الجحيم.

٧- الإحسان: وهو خلق متعدد الاتجاهات، ورغم ما يبدو أنه أقرب إلى أخلاق القسم الأول إلا أن وضعه هنا آت من كون الإحسان خلقًا فرديًا؛ تلمس أثره في العبادة والخشية (أن تعبد الله كأنك تراه) كما أن له جانبًا اجتماعيًا كذلك في الإحسان إلى الآخرين كالوالدين والأقارب وكل المسلمين، والإحسان في ذبح الحيوانات. فالإحسان له جانبان: أولهما في باب العبادات؛ باستكمالها وفق شروطها وأركانها وسننها وآدابها، وثانيهما في المعاملات، بإيصال الخير والبر لأهله، وكف الأذى عن الإنسان والحيوان.

وتجد نداءً من الله تعالى يتمثل ذلك في قوله: ﴿وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: ١٩٥]. وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾ [النحل: ٩٠]. و ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة: ٨٣].

ويتأتى الإحسان بشعور المسلم بالمراقبة، وأن الله تعالى مطلع عليه، وناظر إليه، ويراه في كل حالته، وهذا يجعله ساعيًا إلى إحسان العمل، وتأديته بالصورة المطلوبة، مستشعرًا وجود الله ومراقبته. يقول الله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقُوا أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٧٢]. ﴿وَإِنْ تَحْسَبُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ [النساء: ١٢٨]. ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ﴾ [النحل: ٣٠]. ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ [النحل: ١٢٨].

(١) وردت الألفاظ المتصلة بالمجاهدة في القرآن الكريم في ثلاث عشرة آية، تأكيدًا لأهميتها وضرورة التزام المسلم بها؛ هذا بخلاف الألفاظ المتصلة بالجهاد التي وردت في عشرين آية قرآنية.

﴿ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [يوسف: ٥٦]. ﴿ وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [العنكبوت: ٦٩]. ﴿ ءَاخِذِينَ مَا ءَاتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ ﴾ [الذاريات: ١٦]. ﴿ وَتَجَزَى الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى ﴾ [النجم: ٣١].

ويتمثل إحسان المجتمع المسلم؛ في عدم انفصام عقيدته الإيمانية عن سلوكيات أفراداه ﴿ بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [البقرة: ١١٢]. وفي إتقان أفراداه لعملهم، واستشعارهم مراقبة الله لهم فضلاً عن المظاهر الاجتماعية الأخرى للإحسان.

٨- التواضع: وهو خلق إسلامي، يرتفع بصاحبه، دون مذلة أو مهانة، يقول الله تعالى لرسوله ﷺ: ﴿ وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الشعراء: ٢١٥]. ووصف المؤمنين بقوله: ﴿ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ [المائدة: ٥٤]. ونهى المؤمنين عن التعالي: ﴿ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا ﴾ [الإسراء: ٣٧]. وامتدح المتواضعين ﴿ تِلْكَ الْأْدَارُ الْأَخْرَىٰ تَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [القصص: ٨٣].

ولأن التكبر والتعالي صفتان ذميتان، فقد حُرمت الجنة على المتكبرين، وحصب جهنم هم المتكبرون « ألا أخبركم بأهل النار، كل عتل جواظ مستكبر »^(١) « لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر »^(٢).

ولأن التواضع سمة المؤمن؛ فقد تعهد الله برفعة أهله « وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله »^(٣) ودعا إلى التخلق به، والأمر باتباعه « إن الله أوحى إلي أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد ولا يبغي أحد على أحد »^(٤).

ويبرز تواضع المسلم وخفض جناحه مع المؤمنين في تلطفه في المعاملة، وعدم تقدمه على أمثاله أو من يعلوه، وفي جلوسه إلى الفقراء والمساكين، وإجابة دعوة ذوي

(١) رواه الشيخان وغيرهما عن حارثة بن وهب ؓ .

(٢) رواه مسلم عن عبدالله بن مسعود ؓ .

(٣) رواه مسلم عن أبي هريرة ؓ .

(٤) رواه مسلم عن عياض بن حمار ؓ .

الحاجة، وألا يرى نفسه خيرًا من غيره، ويسلم مبتدئًا على مَنْ يستقبله، ويلبس في غير مخيلة.

وفي المجتمع المسلم يُتأسى برسول الله ﷺ الذى كان في مهنة أهله، ويسلم على الصبيان، وينهى أصحابه عن تعظيمه، وكان يخصف النعل، ويرقع الثوب، ويأكل مع الخادم، ويحلب الشاة، ويعقل البعير، وبذا لا يتعالى أحد على إخوانه؛ لأن التكبر خلق أهل النار.

وفي المجتمع المسلم - أيضًا - تجد ذلة المؤمنين بعضهم للآخر، برحمة بعضهم لبعض، وعدم التفاخر بالأنساب أو المال أو الجاه أو الولد، وفي التلاقى بوجه طلق بشوش، وبالكلام الطيب، وفي تفريج كربتهم، وإجابة ملهوفهم، والرفق بهم، والقيام بحقوقهم، وعدم ضرهم أو المكر بهم، وعدم الشتمات بهم، ما يمثل صفات حقة لمجتمع يتواضع فيه أفراد، ولا يبغي فيه أحد على أحد.

٩-١ مانه: مفهوم الأمانة في الإسلام أوسع من أن يقتصر على حفظ الودائع، ولكنه يمتد لمعانٍ عظيمة؛ جماعها شعور المرء بتبعته في كل أمر يوكل إليه، وإدراكه بالمسئولية أمام الله، والقيام بواجبات ذلك ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ [الأحزاب: ٧٢]. كما يشمل الأمانة في أداء العبادات، وفي الحديث، وفي الودائع، وفي الحُكم، وفي عدم الخيانة لكل ما تقدم.

والأمانة هي خلق المسلم، وأحد دلائل الإيمان «لا إيمان لمن لا أمانة له. ولا دين لمن لا عهد له»^(١) كما أنها تبعة عظيمة «يا أبا ذر، إنك ضعيف، وإنها أمانة - وإنها يوم القيامة خزى وندامة؛ إلا من أخذها بحقها، وأدى الذى عليه فيها»^(٢).

ولعظم الأمانة فإنها أول ما تُرفع إلى الله، وعندما تضيع الأمانة فإن ذلك دلالة على اقتراب الساعة (إذا ضُيعت الأمانة فانتظر الساعة. فقل له: كيف إضاعتها! قال: إذا وُسد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة)^(٣) وتقتضى الأمانة اصطفاء أحسن الناس قيامًا

(١) رواه أحمد عن أنس بن مالك ؓ .

(٢) رواه مسلم عن أبي ذر الغفارى ؓ .

(٣) رواه البخارى عن أبي هريرة ؓ .

للأعمال، وأن يحرص المرء على أداء واجبه كاملاً في العمل؛ الذي يناط به. وخيانة هذه الأمانة إنَّه عظيم؛ تعرض صاحبها لغضب الله، وتعرض الوطن للأذى. ومن الأمانة ألا يستغل الرجل منصبه في منفعة له، أو لقربائه. ومن معانيها كذلك حفظ حقوق المجالس والأسرار، وحفظ الأسرار الزوجية، فنشرها من أعظم خيانة الأمانة.

وفي المجتمع المسلم تؤدي الأمانة إلى رعاية الحقوق، والعصمة من الدنيا، وهى الضمير اليقظ في قلوب الرجال، وبذا فإن حمل الأمانة - بكل معانيها - لا يقوم به إلا الرجال الأشداء، وهى قوام العمل في المجتمع المسلم بل وقوام العبادات والمعاملات (الصلاة أمانة، والوضوء أمانة، والوزن أمانة، والكيل أمانة)^(١).

وعندما تضع الأمانة تجد الخيانة سبيلها في تردى المجتمعات، وانحلال الشخصيات، وتدمير الكرامة، وهز الثقة، والإنذار بالفشل والخسارة، وموت الضمير، وفقدان المسؤولية.

١٠ - الاعتدال: وهو خلق إسلامي عظيم، ينتظم كل شئون المسلم، ويمثل سمة له في حياته، بالتوسط في كل الأمور؛ بلا إفراط أو تفريط وهما مذمومان، ويجافيان الوسطية والاعتدال.

واعتدال المسلم في عبادته يتأتى من عدم الغلو والتنطع، ومن عدم الإهمال والتفريط، فقد ذم رسول الله ﷺ التشدد قائلًا: «هلك المتنطعون»^(٢) وقال للثلاثة الذين تقالوا عبادته «أما والله إنى لأخشاكم لله وأتقاكم له لكنى أصوم وأفطر، وأصلى وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني»^(٣) وأوضح طبيعة هذا الدين «إن الدين يسر ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه»^(٤).

وقد كان رسول الله مقصداً في صلاته وفي خطبته، وأخبر أن أحب العمل إلى الله أدومه وإن قل، وأرشد معاذاً إلى عدم إطالة الصلاة بالناس؛ تقديرًا لظروفهم؛ بل وعدّ ذلك فتنة «أفتان أنت يا معاذ»!

(١) رواه أحمد عن عبدالله بن مسعود ؓ.

(٢) رواه مسلم عن عبدالله بن مسعود ؓ.

(٣) رواه الشيخان وغيرهما عن أنس بن مالك ؓ.

(٤) رواه البخاري عن أبي هريرة ؓ.

ومن معانى الاعتدال كذلك التوسط فى أمور المعاش، بلا إسراف ولا تقير ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾ [الفرقان: ٦٧].
والتوسط فى اللباس بلا فخر ومباهاة ولا لبس الخشن والممزق. والتوسط فى السلوكيات وفى أمور الاقتداء والاهتداء.

ومن معانيه كذلك عدم تجاوز حدود الله تعالى بعد تعديلها؛ بالتقصير فى أدائها، أو تجاوزها والغلو فيها. أى الاستقامة الحقة، التى أشار إليها قوله تعالى ﴿وَالْوِاسْطَافُ عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَهُمْ مَاءً غَدَقًا﴾ [الجن: ١٦].

وقد كان الإفراط والتفريط هما دأب الأمم السابقة؛ ولذا فإن المجتمع المسلم يُقدر عظمة هذا الدين ويسره وضرورة الاعتدال فى العمل والعبادة والمعاش، وعدم الغلو؛ لأن هذا الدين متين، والإنسان الذى يُحمل نفسه ما لا تطيق لا أرضا قطع، ولا ظهرا أبقى. والإسلام يجب إلينا عبادة الله تعالى ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمْ الْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥].

وترى اعتدالية المجتمع المسلم فى توسط أفراده واعتدالهم وعدم تشددهم، كما تراه كذلك فى عدلهم مع أنفسهم، وعدلهم فى اعتقادهم، وفى أقوالهم، وفى شئون حياتهم^(١).

١١- العفاف: المسلم لا يكون عبد بطنه أو نفسه؛ ليس همه الأكل والشهوات، ورص الموائد بما طاب من الطعام؛ لأن التشبع والامتلاء شرٌّ، يحول بين المسلم والإقبال على الطاعات؛ لأن شر وعاء يملؤه المرء إنما هو بطنه. والمؤمن - كما جاء فى الحديث - يشرب من إناء واحد، والكافر يشرب فى سبعة أمعاء.

ولأن المسلم صاحب نفس كبيرة، فإن همته عظيمة، ليست مرتبطة بفنون اللهو والملذات، ولكن يقين المسلم أنه مسئول عن النعيم وعن الاستمتاع بالطيبات يوم القيامة ﴿ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ [التكاثر: ٨]. ورغم ذلك فإن الشريعة تقر حق المسلم فى التنعم وفق شروط الطاعة ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ [المائدة: ٩٣].

(١) العدل خلق إسلامى يندرج ضمن الاعتدال، وإن كانت معانى العدل تأخذ دلالة فردية واجتماعية واسعة وقد أوضحنا الفروق بين العدل والاعتدال فى مؤلف منشور هو (العدل فى القرآن الكريم - دراسة لغوية تفسيرية - إحصائية).

كما تقرر مطالب البدن ورغباته بما لا يدخل في نطاق المعصية ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَحْرُمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [المائدة: ٨٧].

وعفاف المسلم عن الشهوات المادية ليس معناه الزهد والترهب، ولكنه التزام وغنى للنفس وترشيد لها؛ ذلك لأن الإسراف فيه ضرر واقع بالمسلم؛ مادة وروحاً.

ويكون العفاف كذلك بعدم الإلحاح في السؤال والطلب « لا تزال المسألة بأحدكم حتى يلقي الله تعالى وليس في وجهه مُزعة لحم»^(١) ويكون في عدم أخذ ما ليس للمرء من حقوق، ويكون بإعفاف الأهل وأداء مطالبهم الشرعية.

وفي المجتمع المسلم تجد صور العفاف في التوازن في تحقيق مطالب الجسد، وفي عفة الوجه واللسان وفي التعفف عن المحارم، والتعفف عن الزنا لغير القادرين على الزواج؛ حتى يغنيهم الله من فضله، والاستعانة على ذلك بالصيام.

وبعد أن عرضنا للقسم الثاني (أخلاق حميدة، يجب على المسلم اتباعها) فإننا نؤكد أن الصفات التي تناولناها منصفة على المسلم أساساً، ورغم ذلك فلها مردودها الاجتماعي، وهي أخلاق تُميز المسلم بصدقه، وإخلاصه، وحيائه، وصبره، وتوكله، ومجاهدته، وإحسانه، وتواضعه، وأمانته، واعتداله، وهي كلها فضائل ومحمد عظمة.

١- أخلاق التي رصدناها فيما تقدم ليست هي كل أخلاق هذا القسم، إذ هناك أخلاقيات أخرى لم نذكرها، وهي متجهة إلى المسلم؛ مثل: حفظ السر، والمبادرة إلى الخيرات، ومحاسبة النفس، وسلامة الصدر، والتفكير في عظيم مخلوقات الله، والزهد، والورع، وذكر الموت، والمراقبة، والخوف، والرجاء، والوقار، والسكينة، والرضا، والخشية، والسخاء والكرم، وطلاقة الوجه، والهداية، وتعظيم الله، والتوبة، والشكر.. إلخ، ولم نُفصل القول في هذه الأخلاقيات؛ لأننا معنيون بتقديم نماذج خلقية في كل قسم، مؤكدين - هنا - أن اتصاف المسلم بهذه الأخلاقيات الحميدة هو سمو للنفس والروح، وهو تأكيد على قرآنية المسلم وانقياده والتزامه، وهو إبراز لقوة البناء التحتي للأخلاقيات الفردية الحميدة.

وتم جانب آخر للأخلاقيات، وهو الأخلاق المذمومة المنهى عنها، والتي بالابتعاد عنها؛ يتكامل البناء القلبي للمجتمع المسلم، وهذا ما نفصله فيما يلي.

(١) رواه الشيخان وغيرهما عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما.

القسم الثالث: أخلاق ذميمة، ينبغي اجتنابها

نشير بداية إلى أن كل خلق حميد - في القسم الثاني - له طرف آخر مذموم فالصدق مقابله الكذب وهو مذموم، والإخلاص مقابله الرياء، والحياء مقابله البذاءة، والصبر مقابله الجزع، والتواضع مقابله التكبر، والأمانة مقابلها الخيانة، والاعتدال مقابله الإفراط والتفريط، وهكذا..

كما أن كل خلق مذموم - مما سنعرض له - له مقابله المحمود؛ فالظلم نقيضه العدل.. وهكذا. والمسلم في الحالتين باتباعه للخلق متجنب لمقابله المذموم.

والأخلاق الذميمة نؤكد فيها على الجانب الفردى لعلم المسلم، وهذا لا يقلل من جانبها الاجتماعى، وكيونتها الجماعية، والدالة على صلاح المجتمع؛ ليس بالتخلق بالجميل من الخلق فقط، وإنما بتجنب الرذيل والمذموم منها كذلك.

والأخلاق التى سنتناولها هنا؛ ليست هى مقابل (نقيض) كل خلق حميد سابق، ولكننا نعرض لأخلاق لا صلة لها بما تقدم؛ فتناولنا للخلق الحميد وتأكيدنا عليه هو دعوة إلى تجنب الخلق المذموم بداهة.

ويمكن تفصيل أخلاقيات هذا القسم فيما يلي ^(*).

١- الظلم: ينأى المسلم عن الظلم، فلا يظلم ولا يُظلم، ولا يصدر عنه ظلم بأية صورة من صورته؛ فلا يظلم ربه بالكفر أو بالشرك ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣]. ولا يظلم نفسه، بتلويثها بالمعاصى ﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [النحل: ٣٣]. وظلم العبد غيره، بأن يقتطع حقاً لا مريء مسلم، أو أن يستبيح دمه أو ماله أو عرضه ﴿وَمَنْ يَظْلِمِ مِّنْكُمْ نَذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا﴾ [الفرقان: ١٩]. وطاعة الشيطان ظلم، والتكذيب بآيات الله ظلم، والحكم بغير ما أنزل

(*) لعله من عناية السلف بالتأكيد على تجنب المسلم هذه الأخلاقيات الذميمة أن أفردوا مؤلفات لها، وذلك مثل (كتاب الكبائر) للإمام الذهبي و(كتاب الكبائر) للشيخ محمد بن عبد الوهاب.. وغيرهما. نوصى القارئ الكريم بقراءة مثل هذه الكتب، التى تمثل زواجر هادفة فاعلة للنفس المسلمة، وزاجرة كذلك للعصاة والمنحرفين، وقائدة للراغبين فى سلوك طريق الله والحق والصواب.

الله ظلم، وكتمان الحق ظلم، وتجاوز الحدود ظلم، والغفلة عن الله ظلم، وهمز المسلم ولمزه والسخرية منه ظلم، ومطل الغنى ظلم؛ وأكل أموال اليتامى ظلم.. إلخ.

وهذه الصور للظلم يبغضها الله تعالى؛ لأنه سبحانه حرم الظلم على نفسه، وجعله بين العباد محرماً، جعله ظُلمة يوم القيامة (اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة)^(١)، (من كانت عنده مظلمة لأخيه: من عرضٍ أو من شيء فليتحلله منه اليوم قبل أن لا يكون دينار ولا درهم)^(٢)، (من اقتطع حق امرئ مسلم بيمينه فقد أوجب الله له النار وحرم عليه الجنة)^(٣)، (من ظلم قيد شبر من الأرض يطوقه من سبع أرضين يوم القيامة)^(٤).

ولذا فإن الله تعالى يغضب للظلم وينتقم من أهله ﴿ وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴾ [هود: ١٠٢]. ﴿ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ﴾ [الشعراء: ٢٢٧]. وقال ﷺ « إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته »^(٥).

ونجد تحذيرات بأن نتجنب الظلم، ونتقى دعوة المظلوم، التي تُرفع إلى الله تعالى فيقول لها: (وعزتي وجلالي لأنصرنك ولو بعد حين)^(٦) كما أن رسول الله يكون خصيم الظالم يوم القيامة وحجيجه.

كما نجد تحذيرات أخرى بالأنا نخالط الظالمين أو نعاونهم ﴿ وَلَا تَزْكُتُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ ﴾ [هود: ١١٣]. ﴿ أَحْشَرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ ﴾ [الصفات: ٢٢]. أي وأشباههم وأمثالهم وأتباعهم.

ولكل ما تقدم فإن المسلم يتعد عن الظلم بكل صوره، وذلك لطبيعته العادلة السوية، ووقاية لنفسه من عواقب الظلم في الدنيا والآخرة.

(١) رواه مسلم عن جابر بن عبد الله ؓ .

(٢) رواه البخاري عن أبي هريرة ؓ .

(٣) رواه مسلم عن إياس بن ثعلبة الحارثي ؓ .

(٤) رواه البخاري ومسلم عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما.

(٥) رواه البخاري ومسلم عن أبي موسى الأشعري ؓ .

(٦) رواه أحمد عن أبي هريرة ؓ .

والمجتمع المسلم - بتنفيذه لتعاليم الله - لا يُظلم فيه أحد، ولا تضيع فيه الحقوق، ويؤخذ فيه على يد الظالمين، ويُنتصر فيه للمظلومين، ولا يقع فيه الظلم بإحدى صوره السابقة.

٢- شهادة الزور: للكلمة مسئوليتها وخطورتها لدى المسلم، وهو مسئول عن كل ما يتلفظ به ﴿ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ [ق: ١٨]. ومخالفة كلام المسلم لما شاهد وعانين هو زور محقق نهى الله المؤمنين أن يتسموا به ﴿ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ ﴾ [الحج: ٣٠]. وجعل عباد الرحمن بعيدين عن ذلك ﴿ وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ ﴾ [الفرقان: ٧٢].

ودين المسلم كما يحتم ألا يكتم الشهادة ﴿ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ إِثْمٌ قَلْبُهُ ﴾ [البقرة: ٢٨٣]. فإنه يفرض عليه الصدق في شهادته؛ لأنه إن فعل ذلك أدخل نفسه في دائرة الكبائر « ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ قلنا: بلى يا رسول الله. قال: الإشراك بالله، وعقوق الوالدين. وكان متكئاً فجلس فقال: ألا وقول الزور فما زال يكررها حتى قلنا: ليته سكت»^(١) « عدلت شهادة الزور الشرك بالله تعالى مرتين»^(٢) كما أن شهادة المسلم للزور معصية، تستوجب عقاب الله يوم القيامة « لن نزول قدما شاهد الزور يوم القيامة حتى تجب له النار»^(٣).

وأنت ترى أن شاهد الزور ارتكب عدة معاص، أبرزها: الكذب، والافتراء، وإيقاع الظلم على من شهد عليه، وظلم من شهد له بأن أعطاه ما ليس له، فتجب له النار « من قضيت له من مال أخيه بغير حق فلا يأخذه فإنما أقطع له قطعة من نار»^(٤) وهى كلها آثام وكبائر وقبائح.

والمسلم يوقن بوقوعه في المعصية عندما يقول الزور؛ ولذا فإن مخافته من الله، وإقداره لعقابه، وخطورة كلمته تحول بينه وبين هذه الكبيرة.

(١) رواه البخارى ومسلم عن أبى بكره ؓ .

(٢) رواه أبو داود والترمذى عن ابن مسعود ؓ .

(٣) رواه ابن ماجه والحاكم عن ابن عمر رضى الله عنهما .

(٤) رواه الشيخان وغيرهما عن أم سلمة رضى الله عنها .

وفي المجتمع المسلم ينأى الأفراد بأنفسهم عن الزور من الكلام والمشاهدة؛
وبعدهم عن الكذب والافتراء والظلم هو تحقيق لمعانى الإيمان والاستجابة والهداية ﴿ إِنَّ
اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴾ [غافر: ٢٨].

٣- الغضب: وصف الله تعالى عبادة المتقين بقوله: ﴿ والكاظمين الغيظ ﴾ أى الذين:
يمسكون غضبهم، ويضبطون أنفسهم فى كل حال ابتغاء وجه الله تعالى؛ ذلكم لأن
المرء عندما يغضب فإنه قد يُخطئ، وقد يستخدم القبيح من الألفاظ، وقد يضيع
حقوقاً، وقد يسيئ لنفسه وللآخرين، ولذلك جمعت وصية رسول الله ﷺ للصحابي
بقول (لا تغضب)^(١) وعدّ رسول الله ﷺ ضبط المسلم لنفسه من أفضل الأعمال
« ما تجرع عبد جرعة أفضل عند الله من جرعة غيظ يكظمها، ابتغاء وجه الله تبارك
وتعالى »^(٢) وعد - كذلك - كظم الغيظ من مقاييس القوة والصلابة (ليس الشديد
بالصرعة إنما الشديد الذى يملك نفسه عند الغضب)^(٣).

ولأن كظم الغيظ فيه تغلب على النفس، ونقلته من فضيلة (الكظم) إلى رذيلة
(الغضب) فقد رفع الله تعالى من شأن فاعليه، ووعدهم بجزيل الثواب والأجر « من
كظم غيظاً، وهو يستطيع أن ينفذه دعاه الله تعالى يوم القيامة على رءوس الخلائق؛ حتى
يخيّره من أى حور العين شاء »^(٤).

وقد أوضحت الأحاديث النبوية سبل كظم الغيظ، وقدمت معينات للتغلب على
الغضب؛ منها الوضوء « إن الغضب وإن الشيطان خلق من النار، إنما تطفأ النار بالماء
فإذا غضب أحدكم فليتوضأ »^(٥)، ومنها تغيير وضع الجسم « إذا غضب أحدكم وهو
قائم فليجلس؛ فإن ذهب عنه الغضب وإلا فليضطجع »^(٦)، ومنها الاستعاذة « إني
لأعرف كلمة لو قالها لذهب عنه ما يجد من الغضب: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم »^(٧).

(١) رواه البخارى عن أبى هريرة ؓ .

(٢) رواه الشيخان وغيرهما عن أبى هريرة ؓ .

(٣) رواه أحمد عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما .

(٤) رواه أبو داود والترمذى عن معاذ بن أنس ؓ .

(٥) رواه أبو داود عن أبى وائل ؓ .

(٦) رواه أبو داود عن أبى ذر الغفارى ؓ .

(٧) رواه أبو داود والترمذى عن معاذ بن جبل ؓ .

والمسلم قوى النفس والعزيمة والإرادة، وهو بذلك متغلب على نفسه، موجه لها، لا يتعجل في ردود أفعاله، وإنما يكظم غيظه، ابتغاء الأجر والثوب.

وفي المجتمع المسلم لا يفعل الأفراد لتوافه الأمور، ولا تأخذهم عواصف النفس الهوجاء، ولا تطيح بهم الشياطين؛ ولا تجد مُدْخلاً لنفوسهم، ولا تصيرهم كلمات عابرة، وبذا تنضبط انفعالاتهم وأفعالهم، ويتغلبون على شياطينهم، مستعينين بإيمانهم وقوة نفوسهم وترفعهم عن الصغائر والموبقات.

٤- الحسد: المسلم محب الخير لغيره، بل يؤثر الآخرين على نفسه، وبذا فإنه لا يحسد أحداً، ويبغض هذا الخلق ويمقتة؛ لأنه اعتراض على قسمة الله وفضله ﴿أَمْرٌ مَّحْسُودُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ [النساء: ٥٤]. ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُلَخِيًّا وَرَحِمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [الزخرف: ٣٢].

وصورتا الحسد مذمومتان، سواء أكان ذلك بتمنى زوال النعمة عن الغير، وحصولها له، أو كان بتمنى زوالها ولو لم تحصل له، والمسلم لا يحسد ولكنه يغتبط، متمنياً تحصيل نعمة خيرية «لا حسد إلا في اثنتين رجل آتاه الله مالا فسلطه على هلكته في الحق، ورجل آتاه الله الحكمة، فهو يقضي بها ويعلمها»^(١). والحسد هنا الغبطة، وهو أن يتمنى مثله، وهذا محمود بل ومرغوب.

لقد أمرنا الله تعالى بالاستعاذة من الحسد والحاسدين، ذمّا لفعلهم ﴿وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ [الفلق: ٥]. وجعل مرده إلى النفس الخبيثة ﴿حَسَدًا مِّنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ﴾ [البقرة: ١٠٩].

ونهى رسول الله ﷺ عن الحسد «ولا تحاسدوا»^(٢) وجعله سبباً لإذهاب الحسنات؛ ولذا جاء التحذير منه، بما فيه الردع والزجر «إياكم والحسد، فإن الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب أو قال: العشب»^(٣).

(١) رواه الشيخان عن عبد الله بن مسعود ؓ.

(٢) جزء من حديث جامع، رواه الشيخان وغيرهما عن أنس ؓ.

(٣) رواه أبو داود عن أبي هريرة ؓ.

والمسلم يرتقى بنفسه، وإن غالبه خاطر بشرى بشيء من ذلك، فإنه يقاومه بنفسه الكريمة، وبعزيمته، ومقاومته لنزعاتها، وبراحتها في الطاعة؛ لأنه لا راحة لحسود.

وفي المجتمع المسلم تجد الاغتياب والغبطة وتمنى النعمة دون أن يرتبط ذلك بالنظر لما عند الغير. وقناعة الأفراد ورضاؤهم بما أعطاهم الله، وبما رزقهم يجعلهم أكثر راحة وقناعة بما وهبهم الله سبحانه، وبذا فليس ثمة تعلق بما أعطاه الله لغيرهم. وبذا ينافي إيمانهم أن يتحاسدوا، ففي الحسد ألم للقلب ومساءته، وفيه العداوة والبغضاء، وخبث للنفس وشحها.

٥- العجب (*) : وهو خلق مذموم في كتاب الله، وسبب للهلاك ﴿ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ فِيهِ أُعْجِبْتُمْ كَثُرْتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا ﴾ [التوبة: ٣٥]. وهو نوع من التباهي بالنفس في غير محله ﴿ فَلَا تُرْكُوا أَنْفُسَكُمْ ﴾ [النجم: ٣٢]. وفيه استعظام للعمل، يُحبطه ﴿ لَا تُبْطِلُوا صَدَقَتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى ﴾ [البقرة: ٢٦٤].

والمسلم لا يتسم بالعجب ولا بالغرور؛ لأن ذلك من معوقات الكمال، ومن أعظم المهالك، فقد تنقلب النعمة إلى نقمة، والعز إلى ذل، والقوة إلى ضعف. فقد أعجب إبليس بنفسه، فحلت عليه اللعنة، وأعجب قوم عاد بقوتهم فأذاقهم الله عذاب الخزي، وأعجب أصحاب رسول الله ﷺ بكثرتهم فأصيبوا بهزيمة مريرة.

وصور العُجب كلها مذمومة، اغترارًا بالعلم وبكثرة المعارف، وهذا يدفع صاحبه إلى عدم الاستزادة من العلم، واحتقار غيره. وإعجابًا بوفرة المال وكثرة العرض؛ مما يدفع صاحبه للتعالي على الخلق. وعجبًا بالقوة والسلطان. وعجبًا بالعبادة وكثرة الطاعات، وهذا يُحبط العلم ويزهقه.

لأن آفات العجب كثيرة فقد عُدَّ من المهلكات (إعجاب المرء بنفسه)؛ لأنه هلاك لصاحبه؛ إذ ينسيه ذنوبه، فلا يجتهد في إزالتها، كما أنه يأمن مكر الله، ويحمد نفسه ويزكيها، ولا يسمع لناصح ولا واعظ.

(*) في الأدبيات العربية - التراثية - نصوص غاية في الروعة والبيان في ذم العُجب، واعتباره داء ومنها ما ذكره ابن حزم الأندلسي في كتابه (طوق الحمامة) عن مصادر عجب الإنسان بنفسه، فحللها ونقدها وأبان وجه الفساد فيها. (وفي الرجوع إلى النص الأصلي كثير فائدة للقارئ المسلم إن شاء الله تعالى).

والمسلم لا يعجب بنفسه؛ لأنه إن أعجب ببدنه أو بقوته أو بفطنته أو بنسبه أو بكثرة عدده أو بماله أو برأيه فهذه كلها إلى زوال، وهو يوقن أن إعجابه بشيء مما تقدم سبب لهلاكه، وهو مقرر بفضل الله عليه في كل شيء، وينسب الفضل لخالقه ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا﴾ [النور: ٢١].

وفي المجتمع المسلم يحول علم الأفراد دون عجبهم؛ لأن العجب دلالة على الجهل، وتعبير عن قصر النظر؛ لأن النعم قد تتحول إلى نقم. وقد يحبط الله العمل لعجب أصحابه به. فبدلاً من أن يُعجب بالنعمة عليه أن يؤدي شكرها وحق الله فيها. ويقين المسلم بأن ما أعطاه الله من نعم قد يسلبها منه - لو شاء سبحانه - وأن طاعته لله مهما كثرت لا تساوى شيئاً مما أنعم الله به، وأن ما لديه من نعم إنما هو من فضل الله وعطائه. هذا اليقين ينأى بأفراد المجتمع المسلم عن العجب والاعتزاز والتباهي والتفاخر والتعالي.

٦- البخل: وهو خلق قبيح مذموم ﴿وَأَمَّا مَنْ خَلَّ وَاسْتَغْنَى﴾ ﴿وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى﴾ ﴿فَسَنِيئَتُهُ لِلْعُسْرَى﴾ ﴿وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى﴾ [الليل: ٨-١١]. فالشح غلبة للنفس ﴿وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَالِحُونَ﴾ [التغابن: ١٦]. وهو شر ووبال ﴿وَالَّذِينَ يَكْتُمُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [التوبة: ٣٤]. ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُمْ خَيْرًا لَمْ يَلْهُم بَلْ هُمْ شَرٌّ لَمْ يَظْهَرُوا مَا يَبْخُلُونَ بِهٖ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ [آل عمران: ١٨٠].

لقد أفادت الأحاديث النبوية أن البخل مهلكة «اتقوا الشح فإنه أهلك من كان قبلكم؛ حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم»^(١) وأن العطاء والكرم خير لصاحبه (إنك إن تبذل الفضل خيرٌ لك وإن تمسكه شر لك)^(٢) وهو وقاية من النار «اتقوا النار ولو بشق تمرة»^(٣).

(١) رواه مسلم عن جابر ؓ.

(٢) رواه مسلم عن صدى بن عجلان ؓ.

(٣) رواه الشيخان عن عدى بن حاتم ؓ.

والمسلم لا يكون بخيلاً؛ لأن البخل قسوة للقلب، وسوء للخلق، وطمع زائد، وحرص مقيت، ومنع للحق، وتفريط في حق المحتاجين، واغترار بالمال وفرح به، وإمساك للفضل عن أهله « اللهم أعط ممسكاً تلفاً »^(١).

ونقرر أن الإسلام يقوم على البذل والعطاء، ويحبب النفس السخية، واليد الندية، ويحث على المسارعة إلى وجوه البر، وفعل الخير، وإسداء العون، وصنع المعروف، والمال عون في كل ما تقدم؛ ولذا فإن نجاح المسلم في إزالة عوائق البخل وشح النفس، التي تعترض طريق الخير هو فضيلة كاملة، وهو سمو استحق تكفير الذنوب ﴿ وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ ﴾ [البقرة: ٢٧١]. وهو مضاعفة للمال ﴿ يُضَاعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ﴾ [التغابن: ١٧]. وإطفاء لغضب الرب سبحانه، وإبطال لكيد الشيطان ﴿ الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ ﴾ [البقرة: ٢٦٨].

والمسلم بعيد عن البخل؛ لأنه يعلم أن المال أمانة عنده، وليس له منه إلا ما أكل فأفنى، أو لبس فأبلى، أو أعطى فأفنى (أبقى)، وما سوى ذلك سيرثه غيره ﴿ مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ ﴾ [النحل: ٩٦]، ورغم دعوة الشريعة بصون الذرية من الفقر، ومنعهم من العيلة؛ لكن ذلك لا ينبغي أن يتم على حساب المسلم وخلقته؛ لأنه من الحماقة أن يضحى بنفسه وبرضوان الله، ليدخر لغيره من بعده.

كما أن البخل بالحقوق وكنزها للأولاد لا يمحو فقراً، ولا يضمن غنى، ولا يقبل من صاحبه عُذراً يوم القيامة.

وفي المجتمع المسلم ترى آثار البذل والكرم والسخاء في مساعدة الفقراء والبؤساء وفي تجاوز شح النفس، وبذل المال، وإعطاء القرض الحسن، الذي يخلفه الله بالخير على فاعليه ﴿ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ، وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴾ [سبا: ٣٩].

وقناعة أفراده بأن حطام الدنيا سوف يدعونه لوأرث السموات والأرض، وأنهم سيدخلون قبورهم بلا مال ولا جاه، وأنهم سيلقون ربهم عراة، هذه القناعة تجعل التشبث بالمال والتفاني فيه عبث محقق.

(١) رواه الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه.

٧- الفساد: وهو خلق يستوجب غضب الله ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ [المائدة: ٦٤]. ونهى الله تعالى عن الفساد ﴿وَلَا تَعْتَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [البقرة: ٦٠]. ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾ [الأعراف: ٥٦]. ﴿وَلَا تَتَّبِعِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ﴾ [القصص: ٧٧].

وحذر عباده من الفساد، لخطورة عاقبته ﴿فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ [الأعراف: ١٠٣]. ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ [يونس: ٨١]. وأوضح جزاءهم في الدنيا ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا﴾ [المائدة: ٣٣]. وفي الآخرة لا نصيب لهم في الجنة ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا﴾ [القصص: ٨٣].

وأعظم أنواع الفساد الكفر والبعد عن سبيل الله، والصد عنه، والانحراف عن الصراط المستقيم ﴿وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ﴾ [البقرة: ٢٠٥]. ﴿الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ﴾ [الشعراء: ١٥١-١٥٢].

وهناك فساد الباطن، بادعاء الصلاح، وذلك بمخادعة أنفسهم ﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [البقرة: ١٢]. وفسادهم راجع لاتباع أهوائهم بدون هدى من الله ﴿وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ﴾ [المؤمنون: ٧١].

ومن الفساد إفساد ذات البين بين المسلمين، بالوشاية والسعاية بالنميمة، ومن الإفساد إيذاء المسلمين وترويعهم ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَنَنَا وَإِنَّمَا مِثْلُنَا﴾ [الأحزاب: ٥٨]. وسبهم والغدر بهم وتحقيرهم.

وهناك فساد مادي، بإيقاع الظلم بالمسلمين، أو سرقة أموالهم، أو نهبها، أو الإهمال فيها. ويكون كذلك بقطع الطريق وإخافة السبيل وترويع المار.

والمسلم لا يفسد فسادًا ظاهرًا أو باطنًا؛ لأن الإصلاح هو خلقه وديدنه ﴿أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ﴾ [ص: ٢٨]. وبذا فإنه يتجنب كل صور الفساد السابقة، ولا يخالط أهلها ﴿وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٢]. وبقينه بسوء عاقبة المفسدين، وبفطرته السوية، وباستقامته مبتعد عن الفساد والإفساد، الذى استوجب عقاب الله لفرعون ﴿ءَالْتَنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ [يونس: ٩١]. ولقوم ثمود ﴿الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبَلَدِ ۖ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ﴾ [الفجر: ١١-١٢].

وفى المجتمع المسلم يُبتعد عن الفساد - بصوره السابقة - استجابة لنداء الحق ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ﴾، ورغبة فى محبة الله ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾، وبعدًا عن سوء العاقبة ﴿فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾.

ومقتضيات الإسلام يتسق معها عدم الفساد فى الأرض، لمنافاة ذلك لواجبات الاستخلاف فى الأرض، ومنافاة ذلك لطبيعة المسلم، الذى سلم المسلمون من لسانه ويده فلا يفسد لسانه بين الناس، ولا تفسد يده فى الأرض.

٨- الحقد: فساد القلب داء ومرض، فالقلب الأسود يفسد الأعمال ويحبطها؛ لذا فإن المسلم مخموم القلب وهو (التقى النقى، لا إثم فيه ولا بغى، ولا غل ولا حسد)^(١)؛ لأنه عندما يتسرب الحقد إلى قلبه، وعندما تنمو الضغائن فى داخله فإن الإيمان يتسرب كذلك من هذا القلب. وكلما تمكنت الأحقاد من القلب زاده قسوة وجفاء وعنادًا وبعدًا عن الله تعالى.

وفى الأحاديث النبوية نجد توجيهات عظيمة، من شأنها إبعاد المسلم عن الحقد والغل « لا تقاطعوا ولا تدابروا ولا تباغضوا »^(٢)، « لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال »^(٣)، ودلت على أن ذلك من عمل الشيطان « إن الشيطان قد يئس أن يعبد المصلون فى جزيرة العرب، ولكنه لم يئس من التحريش بهم »^(٤)، ودلت على أن ذلك من

(١) رواه ابن ماجه عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما.

(٢) رواه البخارى عن أنس ؓ.

(٣) رواه الشيخان عن أبى أيوب ؓ.

(٤) رواه مسلم عن جابر ؓ.

شر الأعمال .. أفلا أنبئكم بشر من ذلك ! قالوا: بلى إن شئت يا رسول الله قال: من يبغض الناس ويبغضونه^(١) .

وقد أوضح القرآن سمات التباغض والحقد لدى الكفار بقوله: ﴿ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ ﴾ [آل عمران: ١١٨]. ﴿ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُمْ بِبَلِّغِيهِ فَاَسْتَعِذْ بِاللَّهِ ﴾ [غافر: ٥٦]. وفي المقابل جعل من سمات التفاضل في الجنة نقاء صدور أهله ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ فَجَرَى مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ ﴾ [الأعراف: ٤٣]. ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ ﴾ [الحجر: ٤٧]. وجعل من سمات المؤمنين شفاء صدورهم ﴿ وَيَكْشِفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ ﴾ [التوبة: ١٤]. ﴿ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ ﴾ [التغابن: ١١].

والمسلم لا ينبغي له أن يحقد، فسلامة الصدر تفرض عليه تمنى الخير للناس، كما أنه يأسى لآلام العباد، ويرجو لهم العافية، أما الانشغال بكشف الستور، وإبداء العورات، وسرد الفضائح، فهذا لا يقوم به مسلم حق، فالإسلام شرع آداباً لحفظ المودات، وإتقاء الفرقة، وتحريم الغيبة والنميمة وكلها تقى المسلم من أمراض القلوب^(٢).

ولا يجتمع في قلب مسلم سوء الظن، وتتبع العورات، واللمز، وبغض عباد الله والرغبة في إذلالهم فالله تعالى مطلع على صدور العباد، وهذا يجعل المسلم في منأى عن الحقد والغل ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ [المائدة: ٧]. ﴿ أَوَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ ﴾ [العنكبوت: ١٠].

كما لا يجتمع في قلبه الشحناء والحسد والضغانة، فهو لا يبيت حاقداً على أحد ولا ضاغناً على مسلم؛ لأن هذا يناقض الإيمان الصحيح؛ لأن حقه هو فساد ليقينه الكامل بأنه لن ينال من الدنيا إلا ما قدره الله له، وأن غله وحقه يورثان عليه الفاقة وسوء الظن والانشغال بالآخرين، وهذا ضعف في اليقين، وجهل بواجبات اليقين ومستلزماته.

(١) رواه الطبراني عن ابن عباس رضى الله عنهما (وهو جزء من حديث طويل عظيم).
(٢) عنى السلف بأمراض القلوب وأقسامها وعلاجها، ونوصى القارئ الكريم بمطالعة أمثال هذه المؤلفات، لأن فيها رسداً لخفايا القلوب وأسرارها وحياتها وصحتها. ومن ذلك مؤلف ابن قيم الجوزية (إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان) ففي الجزء الأول منه فصل القول عن أقسام القلوب وعلامات مرضها ودوائها وزكاتها وعلاجها .. إلخ.

٩- الغش: المسلم ينصح لإخوانه، ويحبهم، وبذا فليس له أن يغش أحداً؛ لأن ذلك قبح لا يكون للمسلم، فطهارة نفسه المكتسبة من إيمانه وعمله الصالح تنافي هذا الخلق الذميم، الذى هو شر محض وقد نهانا الله عن ذلك ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب: ٥٨]. ﴿وَلَا تَحْقُقِ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾ [فاطر: ٤٣].

وفى الأحاديث النبوية تعزيد لذلك «من غشنا فليس منا»^(١) ونهى عن خديعة المسلم «من بايعت فقل لا خلافة»^(٢) والخلافة أى الخديعة.

ومن صور الغش - وكلها قبيحة - تزوين المسلم لأخيه القبيح أو الفاسد ليقع فيه، وأن يريه ظاهر الشئ؛ الطيب الصالح، ويخفى عليه باطنه الخبيث الفاسد، وأن يغشه فى مشاعره بأن يظهر له خلاف ما يضمرة، وأن يعتمد إلى فساد ماله عليه، أو زوجه، أو ولده، أو صديقه بالوقية والنميمة، وأن يعاهد على حفظ نفس أو مال أو كتمان سر ثم يخونه ويغدر^(٣).

وهناك غش آخر ذميم؛ بأن يغش الإمام رعيته، ويظلمهم، ولا يقوم بمسئوليته. وهذا عمل يستوجب عذاب الله تعالى يوم القيامة «أيما راع غش رعيته فهو فى النار»^(٤). «ما من عبد استرعاه الله رعية ثم لم يحطها بنصيحة؛ إلا لم يجد رائحة الجنة»^(٥)، «من ولاه الله شيئاً من أمور المسلمين فاحتجب دون حاجتهم وفقرهم احتجب الله دون حاجته وخلته وفقره»^(٦).

وعلى المسلم أن يبتعد عن كل صور الغش السابقة؛ لأنها من عمل المنافقين وضعاف اليقين، فأنى لمسلم أن يخدع أخاه وهو جزء منه! وأنى له أن يغش والله تعالى

(١) رواه مسلم عن أبى هريرة ؓ .

(٢) رواه الشيخان عن أبى هريرة ؓ .

(٣) أبو بكر الجزائري: منهاج المسلم، القاهرة، دار عمر بن الخطاب، ب ت. ص ١٦٤ .

(٤) رواه الطبرانى عن أنس ؓ .

(٥) رواه البخارى عن معقل بن يسار ؓ .

(٦) رواه أبو داود والترمذى عن عمرو بن مرة ؓ .

مطلع عليها، وأنى له أن يقبح نفسه بعد أن طهره الله بالإيمان، وبعد أن صفت نفسه، وشرح الله صدره للإسلام!

١٠- **الجدل**: المسلم لا يجادل بل يدلى بحجته، ولا يقول إلا بعلم وحق، ولا يسفه رأى الآخرين، ولا يسعى للتغلب عليهم بالباطل، ولا يدفعه الجدل إلى رفض حجة الآخرين إذا كانت حقًا، وإذا وجد أن منطق الباطل مستمر لدى غيره، وكرهوا قبول الحق الذي بينه، فعليه السكوت، وهو كذلك لا يتصدى للجدال في شيء لا يعلمه بل يحيله إلى من يعلمه. وإن خاصم لا يخاصم إلا بحق، ولا تدفعه الخصومة إلى عداء الآخرين، بل يحتفظ بمودته، يبقى هينًا لينًا (إن أبغض الرجال إلى الله الألد الخصم)^(١) الخصم أى المجادل.

والإسلام لا يرفض الجدل بالحق، ﴿وَجَدِلْتُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥]. ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [العنكبوت: ٤٦]. ولكنه يرفض الخصومة واللجاج بغير الحق ﴿وَتُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ﴾ [الكهف: ٥٦]. ﴿مَنْ يُجَادِلْ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ﴾ [الحج: ٨]. ﴿الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَتْهُمْ﴾ [غافر: ٣٥]. ﴿وَيَعْلَمُ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِنَا مَا لَهُمْ مِنْ مَّخِصٍ﴾ [الشورى: ٣٥].

ونجد أحاديث عديدة، تنهى عن الجدل، وتعتبره إحدى صور الضلال « ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل »^(٢)، « المرء في القرآن كفر »^(٣)، والمرء أى الجدل. « أخوف ما أخاف عليكم زلة عالم وجدال منافق في القرآن »^(٤)، « من ترك المرء وهو مبطل بنى له بيت في ربض الجنة - ما حولها - ومن تركه وهو محق بنى له في وسطها، ومن حسن خلقه بنى له في أعلاها »^(٥).

(١) رواه الشيخان وغيرهما عن عائشة رضي الله عنها.

(٢) رواه الترمذى عن أبى أمامة ؓ.

(٣) رواه أبو داود وابن حبان من حديث أبى هريرة ؓ.

(٤) رواه الطبرانى عن معاذ ؓ.

(٥) رواه الترمذى عن أبى أمامة ؓ.

وفى الأدبيات الإسلامية تحذير من المراء - الجدل - قال بلال بن سعيد: إذا رأيت الرجل لجوجاً ممارياً معجباً برأيه فقد تمت خسارته. وقال على بن أبى طالب كرم الله وجهه: إن الخصومة لها قحم أى مهلكة. وقال ابن عباس رضى الله عنهما: لا تمار أخاك فإن المراء لا تفهم حكمته، ولا تؤمن غائلته.

وأنت ترى أن المجادلة المحظورة بالترفع بإظهار العلم، والتهجم على الغير، وتهيج الغضب، وإشعال الفتنة، وتوريث الخصومة، وكثرة الشجار والخلاف، كلها مهلكات ورذائل.

ولذا فالمسلم لا يجادل بالباطل، ولا يلج في الخصومة، ولا يعاند في الحق، ولا يؤذى محدثه، ولا يظهر لدوداً وتسلطاً نحوه، فالحكمة هى ضالته، وإيصالها للآخرين لا يكون إلا بحق وقبول وضبط للسان بعيداً عن الخصومة، وتوغر الصدور، وتهيج الغضب، وإذهاب المروءة، قال بعضهم: (ما رأيت شيئاً أذهب للدين ولا أنقص للمروءة ولا أشغل للقلب من الجدل والخصومة).

١١ - آفات اللسان: المسلم يعلم أن خطر اللسان عظيم ولا نجاة منه إلا بالنطق بالخير « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت »^(١)، « من يضمن لى ما بين لحييه - أى لسانه - وما بين رجليه - فرجه - أضمن له الجنة »^(٢)، « ..وهل يُكَب الناس فى النار على مناخرهم إلا من حصائد ألسنتهم »^(٣). « إذا أصبح ابن آدم فإن الأعضاء كلها تكفر اللسان، تقول: اتق الله فينا، فإنما نحن بك: إن استقمت استقمنا وإن اعوججت اعوججنا »^(٤). وقال الرسول الكريم ﷺ لعقبة بن عامر عندما سأله عن النجاة « أمسك عليك لسانك وليسعك بيتك وابك على خطيئتك »^(٥)، « إن العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله تعالى ما يُلقي لها بالاً يرفعه الله بها درجات، وإن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله تعالى لا يلقى لها بالاً يهوى بها فى جهنم »^(٦).

(١) رواه الشيخان وغيرهما عن أبى هريرة ؓ.

(٢) رواه الشيخان عن سهل بن سعد ؓ.

(٣) رواه الترمذى عن معاذ بن جبل ؓ.

(٤) رواه الترمذى عن أبى سعد ؓ.

(٥) رواه الترمذى عن عقبة بن عامر ؓ.

(٦) رواه البخارى عن أبى هريرة ؓ.

وسبيل النجاة والهداية يكون بحفظ اللسان إلا عن كلام تبدو فيه المصلحة، فمعظم مصائب العباد ومعاصيهم تتحقق باللسان؛ ولذا رأينا في الأحاديث السابقة أن الإيمان وحفظ اللسان قرينان وأن طريق السلامة والنجاة لا يكون إلا بإمساك اللسان، وأن أعمال أعضاء الجسد كلها مرتبطة باللسان، وأن حفظ اللسان نجاة من عذاب الله تعالى يوم القيامة.

ويتأتى الإسلام الحق بتجنب آفات اللسان وهى كثيرة، ومنها الكلام فيما لا يعنى، وترك فضول الكلام، إلا بأمر بمعروف أو نهى عن منكر، والخوض فى الباطل، والمراء والخصومة، والتععر فى الكلام، والثرثرة، والفحش والسب وبذاءة اللسان، واللعن، والمزاح بالباطل، وإفشاء السر، والوعد الكاذب، واليمين الغموس، والكذب فى القول، والغيبة، والنميمة، وكلام ذى الوجهين، والمدح بالباطل والغضب، وشهادة الزور، وقذف المحصنات، والحكم بالباطل، وسب المسلم... إلخ.

وكل آفة مما تقدم تمثل ذنباً وإثمًا، ويكفيها حصرها فقط، والتأكيد على أن اللسان هو مصدر كل هذه الآفات ونجد فى التراث أقوالاً عظيمة فى ذلك، تؤكد خطورة اللسان وضرورة إمساكه.. فقد كان أبو بكر الصديق رضي الله عنه يضع حصاة فى فيه، ويمنع نفسه عن الكلام، ويشير إلى لسانه قائلاً: هذا الذى أوردنى الموارد. ويقول عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: والله الذى لا إله إلا هو ما شئ أحوج إلى طول سجن من لسان. وقال الحسن: ما عقل دينه من لم يحفظ لسانه. قال النخعي: يهلك الناس فى فضول المال والكلام. وقال أيضاً: الإكثار من الكلام الذى لا حاجة إليه يوجب قساوة القلب. وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه، من كثر كلامه كثر سقطه، ومن كثر سقطه كثرت ذنوبه، ومن كثرت ذنوبه كانت النار أولى به. وقال سميط بن عجلان. يا بن آدم إنك ما سكت فأنت سالم، فإذا تكلمت فخذ حذرَكَ إما لك وإما عليك . وقال وهب بن منبه: أجمعت الحكماء على أن رأس الحكمة الصمت. وقال يونس بن عبيد: ما رأيت أحداً لسانه منه على بال إلا رأيت ذلك صالحاً فى سائر عمله. وقال يحيى بن كثير: ما صلح منطق رجل إلا عرف ذلك فى سائر عمله، ولا فسد منطق رجل قط إلا عرفت ذلك فى سائر عمله.

ولذا فلسان المسلم إما ذاكراً لله تعالى، وإما داعياً إلى الحق، وإما ناهياً عن المنكر، وإما ناصحاً برشد، أو واعظاً بعلم، أو مبلغاً بأمانة، أو فاصلاً ومصلحاً بحق (أى بين الناس)، وعندئذ يكون كلامه ذكراً، وصمته فكراً وتديراً.

وفي المجتمع المسلم يتجنب أفراد آفات اللسان المتقدمة؛ لأنها معصية وزور وباطل، وتجد مقابل ذلك في ضبط النفس، وصون اللسان، والدعوة للحق، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر أى أداء اللسان لوظيفته وفق يقين بأن كل لفظة يتلفظ بها يحاسب عليها المسلم ﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ [يونس: ٦١]. ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴾ [الإسراء: ٣٦].

وبعد أن رصدنا الأخلاق الذميمة السابقة - القسم الثالث - فإننا نؤكد أن نجاة المسلم وسلامته واستقامته وهدايته لا تتأتى إلا بتجنبه إياها، بتجنب ظلم العباد، وشهادة الزور، والغضب، والحسد، والعجب، والبخل، والفساد، والحق، والغش، والمرء، وتجنب آفات اللسان. وطبيعى أن يقوم المسلم بخلافها بأن يعدل، ويقول الحق، ويكظم غيظه، ويتواضع، ويسخو، ويصلح، ولا يغش، ولا يحسد، ولا يمارى، ولا يكذب، ولا يغتاب ولا يخوض في الأعراض .. إلخ .. وهكذا تتكامل الدائرة الإيمانية، ويتأكد الخلق الحسن لدى المسلم، إيجاباً وسلباً، وأخذاً وتركاً، وعملاً وتجنباً.

ونشير كذلك إلى أن الأخلاق التى تناولناها في هذا القسم ليست هى كل الأخلاق الذميمة، فهناك الخيانة، وسوء الظن، والغدر، والتجسس، والاختيال، واحتقار المسلمين، والإسراف، والرشوة، والاستطالة على الخلق، والتطير والكهانة، والطمع والنياحة، والاحتكار، والعجز والكسل وإظهار الشماتة، والمن .. الخ .. بيد أننا - اتساقاً مع القسمين السابقين - اخترنا نماذج من كل قسم، وفق رؤيتنا واجتهادنا وليس تقديماً للأهم على المهم.

وهكذا عرضنا إحدى عشرة صفة في كل قسم، ركزنا في القسم الأول على الأخلاق ذات الطابع الاجتماعى، وفي الثانى على الأخلاق الحسنة، التى تميل إلى الفردية شيئاً ما، أما القسم الثالث فقد ركزنا فيه على الأخلاق الذميمة، وبذا يكون مجموع ما تناولناه ثلاثة وثلاثين خلقاً إسلامياً (أساسياً حميداً، وفردياً حميداً، وذمياً) بخلاف ما أشرنا إليه في التعقيب على كل قسم.

ولسنا في حاجة إلى معاودة التأكيد على أن النسق الأخلاقى في الإسلام - بأقسامه الثلاثة - لا تجد له نظيراً في أى دين آخر، سماوى أو وضعى. وهو نسق قويم، مستمد

من كتاب عظيم يهدى للتي هي أقوم، ومن أحاديث نبي كريم ﷺ صانه الله عن الضلالة والغواية. ولا صلاح للمجتمع المسلم إلا بالعودة إلى هذه الأخلاقيات، فهي أداة بناء وتقويم وهداية ورشاد، واستقامة حقة في الدنيا، ونجاة من عذاب الآخرة، على نحو ما أوضحنا في كل خلق.

وفي البناء القيمي والخلقي في الإسلام نجد تفرّدًا آخر في النظرة للعمل، وفي توسيع دائرة العبادة، ونجد أن هذا الأمر يحتاج منا إلى كثير تفصيل، وهذا ما سنعرض له فيما يلي:-

المبحث الثالث: دراسة خلبية لقضية العمل في الإسلام، من منظور البناء والبعث

لا تجد دينًا يحث على العمل، ويعلى من شأنه مثل الإسلام، فمفهوم العمل في الإسلام لا يقتصر على الأعمال البدنية فقط كالزراعة والتجارة والصناعة، ولكنه يتضمن الأعمال القلبية^(١) كالغضب والرضى والحسد والحقد وحب الخير للناس، والأعمال الفكرية مثل التأمل والتدبر والتفكير في ملكوت السموات والأرض.

ويتسع هذا المفهوم ليشمل الأعمال الدنيوية، أي التي يؤديها المسلم تكسبًا ومعاشًا، طالما قصد به وجه الله، وطالما تزامنت معه نية صادقة، فالإسلام يعتبر النية هي معيار تقويم الأعمال، وميزان رشدتها وصلاحتها، فإذا كانت طيبة كان العمل طيبًا، وإن كانت خبيثة كان العمل خبيثًا (وإنما لكل امرئ ما نوى).

ومن هنا فإننا نؤكد أن الإسلام لا يفصل بين العمل والإيمان^(٢) ولا بين العمل والعبادة، فقيمة العمل تعلق بإيمان يغذيه ويحميه؛ فكل عمل لا يقوم على إيمان صادق فهو محبط الأجر، ويجعله الله هباءً منثورًا. ﴿ وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ

(١) الأعمال القلبية منها الحسن، ومنها السيئ (القبيح). ويدخل في أعمال القلوب المهم بالعمل، ولعله من سعة رحمة الله أن نرى هذا الفضل العميم فيما رواه ابن عباس رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ فيما يرويه عن ربه تبارك وتعالى قال: « إن الله كتب الحسنات والسيئات، ثم بين ذلك: فمن هم بحسنة فلم يعلمها كتبتها الله تبارك وتعالى عنده حسنة كاملة، وإن هم بها فعملها كتبتها الله عشر حسنات إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة، وإن هم بسيئة فلم يعملها كتبتها الله تعالى عنده حسنة كاملة، وإن هم بها فعملها كتبتها الله سيئة واحدة» [متفق عليه].

(٢) في القرآن الكريم تجد مساواة بين العاملين والمجاهدين، فقد عذر الله العمال - العاملين - الكادحين وأعفاهم من قيام الليل كالمجاهدين في سبيله ﴿ عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضَىٰ وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ [المزمل: ٢٠].

هَبَاءً مَّنْثُورًا ﴿ [الفرقان: ٢٣]. ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿ الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَّهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿ [الكهف: ١٠٣-١٠٤].

وليس ثمة فصل بين العمل والعبادة؛ فالمسلم لا تكتمل عبادته مهما أدى من صلاة أو صيام أو صدقات إذا كان يغش في عمله، أو يأكل أموال الناس بالباطل، أو يهمل عملاً نافعا للوطن. شعور المسلم بالمراقبة يجعله لا يفصل بين عبادته في المسجد وبين عمله في المصنع أو المتجر؛ فالله تعالى الذى يصلى له في المسجد هو معه في مصنعه. وينبغي أن تكون عبادته دافعة له لإتقان عمله وعون العبد في إنجازها، ويقينه أنه مسئول أمام الله عما عهد إليه من حقوق وأعمال وأمانة تضاعف المسؤولية عليه، ويشدد حسابه لنفسه.

ويجد المسلم نفسه في عبادة دائمة؛ فعمله الدنيوى يبتغى به محبة الله ورضوانه، ففى تجارته ييسر على عباد الله، ولا يربح إلا حلالاً، وفى زراعته وصناعته يسهم فى بناء المجتمع المسلم، وفى تعليمه - متعلماً أو معلماً - يبتغى الحق والثواب، فالنية الصالحة تجعل العمل صالحاً مقبولاً عند الله تعالى يثاب عليه صاحبه.

ويقرر القرآن الكريم أن جزاء العمل الصالح هو الحياة الطيبة والسعادة فى الدنيا والآخرة ﴿ مَنْ عَمِلْ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَتَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [النحل: ٩٧]. ﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَّقَابٍ ﴾ [الرعد: ٢٩]^(١).

كما قرن القرآن الكريم بين العمل وبين الجهاد فى سبيل الله، قال الله تعالى: ﴿ وَءَاخِرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ ۖ وَءَاخِرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ [المزمل: ٢٠].

(١) المتأمل لآيات الذكر الحكيم يجد ربطاً بين الإيمان والعمل فى أكثر من خمسة وستين موضعاً، حيث يتقدم الإيمان على العمل فيها وبخاصة فى صيغتي (عمل) و(عملوا) وذلك مثل ﴿ وَأَمَّا مَن ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءٌ أَحْسَنُ ﴾ [الكهف: ٨٨]. ومثل ﴿ وَنَبِّئِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ هُمُ جَنَّاتٍ تَجْرَىٰ مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴾ [البقرة: ٢٥].

ويلفت القرآن النظر إلى عنصر المراقبة في كل أعمالنا، ووجوب الإخلاص فيها
﴿وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾ [يونس: ٦١].

وتتجه الوصايا النبوية إلى إعلاء قيمة العمل - بشتى صورته - والتأكيد على أن
السعى في طلب الرزق عبادة؛ قد تتفوق على العبادات المعروفة إذا أحسن أدائها « إن
من الذنوب ما لا يكفره إلا السعى في طلب الرزق »^(١) كما أنه وسيلة للمغفرة « من
أمسى كالاً من عمل يده بات مغفوراً له »^(٢) ونجد الربط بين العمل والجهاد في سبيل الله
في قوله ﷺ عندما خرج عليه رجل قوى البدن مفتول العضلات فقال بعض الصحابة :
لو كان هذا في سبيل الله؟! فقال: « إن كان خرج يسعى على أبوين شيخين كبيرين فهو في
سبيل الله، وإن كان خرج يسعى على ولد صغار فهو في سبيل الله، وإن كان خرج يسعى
على نفسه يعفها فهو في سبيل الله »^(٣) ونجد تكريم رسول الله للعمال « فقد جاء رجل
ذات يوم فمد الرسول ﷺ يده ليسلم عليه، ولكن الرجل منع يده على السلام فسأله
الرسول الكريم: لم منعت يدك عن السلام فأجاب الرجل يا رسول الله: يداي خشنتان
وأخشى أن تؤذيأك فسأله الرسول: ومم؟ فأجاب الرجل: من أثر العمل يا رسول الله،
فإذا برسول الله يرفع كلتا يدي الرجل، ويقبلهما قائلاً: كفان يجبهما الله ورسوله »^(٤).

ونجد تفضيلاً نبوياً لأوجه الخير المتصلة بالعمل والنفقة، وخاصة ما يتجه من ثمار
ذلك إلى ذوى القربى « إنك لن تنفق نفقة إلا أجرت عليها، حتى ما تجعل في فم
امرأتك »^(٥).

وستتوقف مع أحاديث مشابهة لهذا الحديث بعد قليل.

وحرصاً من الإسلام على أداء أفضل للعمل، فقد ألزم الحكومات وولاة الأمر
بمساعدة العمال، وتيسير حياة كريمة لهم، والأخذ بأيديهم للسكنى المناسبة، وتزويجهم،
وتسهيل نقلهم لعملهم. كما كفل حق التأمين إذا حدث عجز عن العمل، أو تقاعد
لسبب ما.

(١) رواه الطبراني في الأوسط، وأبو نعيم في الحلية عن أبي هريرة ﷺ .

(٢) رواه الطبراني في الأوسط من حديث ابن عباس رضى الله عنهما.

(٣) رواه الطبراني في معاجمه الثلاثة من حديث كعب بن عجرة ﷺ .

(٤) رواه الخطيب البغدادي من حديث أنس بن مالك ﷺ .

(٥) متفق عليه من حديث سعد بن أبي وقاص ﷺ .

وفي أحاديث النبي الكريم ﷺ نجد الدعوة الفريدة بتواصل العمل والغرس حتى وإن قامت الساعة « إن قامت الساعة ويبد أحدكم فسيلة، فاستطاع ألا تقوم حتى يغرسها؛ فليغرسها فله بذلك أجر »^(١) ويؤكد الحديث حقيقة مهمة؛ وهى أنه ليس هناك طريق للآخرة اسمه العبادة، وطريق للدنيا اسمه العمل. وإنما هو طريق واحد للآخرة أوله في الدنيا، وآخره في الآخرة. وهو طريق لا يفترق فيه العمل عن العبادة، ولا العبادة عن العمل. فكلاهما شىء واحد، وكلاهما في نظر الإسلام يسير جنباً إلى جنب في طريق واحد، وهو الطريق إلى العمل لله إلى آخر لحظات العمر، وإلى آخر خطوة من خطوات الحياة. وهذا تأكيد لقيمة العمل في الإسلام، والحرص عليه، وإعلاء قدره وإبرازه على أنه الطريق للآخرة؛ ولا طريق سواه.

وتجد في فلسفة القرآن الكريم في الربط بين طريق الدنيا والآخرة ما يعد ثوابت في الفكر الإسلامى ﴿ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ﴾ [القصص: ٧٧]. ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ ﴾ [الأعراف: ٣٢].

وتم درس عظيم نخلص إليه من الحديث الشريف والآيتين؛ فالدين ليس عزلة عن الحياة، وإنما هو صميم الحياة، في النهج الإسلامى تسير حياتنا باسم الله: طعمانا وزواجنا وتعليمنا وعملنا. ولا فرق بين عمل للدنيا وآخر للآخرة. المهم أن جلال العمل يحقق بتحقيق الصلة والاتصال بالله تعالى، وأن خدمة الآخرة لا يكون إلا بإصلاح الدنيا، ولا وصول للآخرة إلا عن طريق تعمير الأرض وغرس الفسيلة^(٢).

وأنت ترى أن العمل في الأرض لا ينبغي أن ينقطع لحظة واحدة، بسبب اليأس من النتيجة فقد بنى المسلمون وهم يؤمنون بدينهم ويعملون به أروع حضارات الأرض وأخلدها دون انحراف عن منهج الله.

(١) رواه أنس بن مالك رضي الله عنه بإسناد حسن (الحديث ورد في المنتخب).

(٢) تعمير الأرض لا تحسبه عملاً دنيوياً؛ فهو عمل متصل بالتمكين في الأرض، ويشاب عليه فاعله، وهذا العمل ينتقل مع صاحبه إلى قبره، ويظل ثوابه خالداً مستمراً جاريًا . يقول ﷺ: « سيع يجرى للعبد أجرهن وهو في قبره بعد موته : من علم علماً، أو كرى نهراً، أو حفر بئراً، أو غرس نخلاً، أو بنى مسجدًا، أو ورث مصحفًا، أو ترك ولدًا يستغفر له بعد موته » وهكذا فإن هذه الأعمال - بشقيها - قد نالت مثوبة وشرفاً وعظمة في الجزاء.

وكان للزراعة نصيب كبير في حضارة المسلمين، فالزراعة هي إخراج لخيرات الأرض، وإعداد لقوت الجماهير المسلمة؛ ولذا عدت ثواباً، وفريضة لا ينبغي التفريط فيها؛ فهي عمل عمراني يكفل مصالح العباد، ويشبع العاني والمحتاج؛ ولذا رفع الإسلام من شأنها، كما رفع من شأن التجارة؛ خدمة لاقتصاد المسلمين، فالتاجر الصدوق الأمين مع النبيين والصديقين والشهداء. مثل الزراعة والتجارة كل حرفة يتكسب بها المسلم، ويقيم بها حياته؛ فأفضل الكسب عمل الرجل بيده وأفضل طعام يأكله المسلم إنما يكون من عمل يده؛ اقتداء بالأنبياء الذين عملوا وجاهدوا ونقبوا في الأرض، ولم ييخلوا بجهد مادي^(١).

وعندما يضرب المسلم في الأرض؛ كان مغبراً لقدميه وموجهاً لهما للعبادة (الصلاة)، أو موجهاً لهما في أرجاء الحياة (العمل والكسب)؛ وكلاهما دين قويم، وصراط مستقيم، وكلاهما في محراب الحياة الفاضلة.

وعندما ينفق المسلم، فليست صدقته هي العبادة فقط؛ فنفقته على نفسه وعلى أهله زكاة متقبلة «دينار أنفقته في سبيل الله، ودينار أنفقته في رقة، ودينار تصدقت به على مسكين، ودينار أنفقته على أهلك، أعظمها أجراً الذي أنفقته على أهلك»^(٢).

وإنفاق المسلم على عمله إنما هو ثمرة كفاحه وكده؛ ولذا نجد دعوات صريحة في القرآن العظيم بالسعى في مناكب الأرض، وأخذ الطيبات من الرزق، والأكل مما عملته

(١) الثابت أن أنبياء الله كانوا يعملون ويحترفون مهناً، وقد كان رسول الله ﷺ صاحب طاقة كبيرة على العمل والحياة؛ مهما تباينت الظروف واختلفت الأحوال؛ فقد رفع الأحجار مع أصحابه في بناء المسجد وفي حفر الخندق. وقد علم أصحابه أن الاستسلام لشهوات البطن سقوط بهمة المسلم، وخور في عزيمته، وضعف في يقينه، وتغلب للشيطان؛ ولذا يقول ﷺ واصفاً هؤلاء المتخمين العاجزين عن العمل: «إن القوم لما شبعت بطونهم سمت أبدانهم، فضعت قلوبهم، وجمعت شهواتهم» وقال: «إنما أخشى عليكم شهوات الغى في بطونكم وفروجكم ومضلات الهوى» وقال: «إن شرار أمتي الذين غدوا بالنعيم، وبنيت عليه أجسامهم».

(٢) رواه مسلم عن أبي هريرة ؓ. والحديث لا يقلل من شأن الإنفاق في وجوه الخير - التي فصلها - فهذا الأمر حسمة الأحاديث الأخرى. وإنما المقصود هو كفالة الأسرة، ورعاية الآخرين وإعداد النشء الصالح، وتكوين البيت المسلم، وتوفير حاجاتهم، وإغناؤهم عن السؤال والتسول، وإعفافهم وهكذا يكون الإنفاق على أهل الأهل أشبه بالجهاد في سبيل الله. ومن عظمة هذا الدين توجيهه العناية للأسرة المسلمة، وتركيز ملكاتها، وتنسيق إنتاجها، ونقلها إلى حالة القوة والعطاء بدلاً من الضعف والوهن، والارتقاء بمستواها، ودفعها للعمل والإنتاج بدلاً من العجز والتسول وانتظار عطاء الآخرين.

الأيدي، وتحبيب العمل، ومحاربة العجز والكسب والفقر، فأعظم الصدقة أجرًا، «أن تصدَّق وأنت صحيح صحيح تحشى الفقر وتأمل الغنى»^(١).

بل يمتد أجر العمل، ليس وقفًا على الأهل - ليشمل أنواعًا من المخلوقات، أصابت شيئًا من نتاج عمل المسلم، وثمار ما غرست يده «فلا يغرَس المسلم غرسًا يأكل منه إنسان، ولا دابة، ولا طير إلا كان له به صدقة إلى يوم القيامة»^(٢).

ولأن عمل المسلم يعد معروفًا؛ لأنه به يصون نفسه، ويخدم غيره، وينفع المجتمع المسلم، فإنه مثاب على ذلك لقوله ﷺ: «كل معروف صدقة»^(٣).

ولأنه لا يحدث تقدم ملموس في المجتمع المسلم إلا بالعمل والجد والكد، فإننا نتساءل: هل ثمة تعارض بين الرفاهية وبين الإسلام؟

والحق أن الإسلام يقدم معايير للتقدم والرفاهية، متصلة بإقبال الدنيا وزينتها والخير الوفير والرزق منها قوله ﷺ: «إن مما أخاف عليكم من بعدى ما يفتح عليكم من زهرة الدنيا وزينتها، إنه لا يأتي الخير بالشر، وإن مما ينبت الربيع ما يقتل حبطًا، أو يلم. وإن هذا المال خضرة حلوة؛ فمن أخذه بحقه، ووضع في حقه، فنعم المعونة هو، ومن أخذه بغير حقه كان كالذي يأكل ولا يشبع، ويكون شهيدًا عليهم يوم القيامة»^(٤).

ونلتمس جانب التقدم والرفاهية في الحديث، إلا أنه تقدم إلى الأسوأ، وذلك حينما توضع الأمور في غير موضعها، وحينما تكثر النعم، وتقبل الدنيا، وتستشرى القمة، ولا يؤدي حق الله. وهذه هي الرفاهية المذمومة.

ولكن عندما تؤدي الحقوق، ويعطى الفقراء حقهم، ويكون الاعتدال وعدم الإسراف والتوسط هو نمط الحياة فإن الرفاهية هنا محمودة؛ لأنها تسير وفق منهج الله تعالى، ولا تتغلب فيها الملذات والشهوات والتخمة.

(١) رواه الشيخان وغيرهما عن أبي هريرة ؓ.

(٢) رواه مسلم عن جابر بن عبد الله ؓ.

(٣) رواه البخاري عن عبد الله ؓ.

(٤) رواه البخاري ومسلم عن أبي سعيد الخدري ؓ. والحبط: امتلاء البطن بالطعام والتخمة. أو يلم: أى يقارب الموت.

والحديث المتقدم - لا يبتعد كثيرًا عن وصف لواقعنا الإسلامى، إذ نرى دولاً قد أكلت وأتخمت، وأخرى وصلت لحد من الفقر والجذب يدمى القلب، دون أن تأخذ حظها من أصحاب الوفرة. والشئ نفسه داخل البلد المسلم الواحد، إذ ترى أصحاب السيارات الفارهة والقصور الفخمة في نعيمهم، وبجوارهم أو أمامهم أو خلفهم من لا يملكون قوت يومهم، ولا يكادون يتاح لهم حد الكفاف، وأدنى وسائل العيش اليسير.

وثمّ حديث آخر، يعضد المعنى السابق، ويصف واقعنا، ويزيده وضوحاً «والذى نفسى بيده ليفتحن عليكم فارس والروم، ولتصبن عليكم الدنيا صبّاً، وليكثرن عندكم الخبز واللحم حتى لا يذكر على كثير منه اسم الله»^(١).

والحديث يقدم أمثلة للرفاهية، في زيادة الدخل العام والفردى؛ وفي وفرة الغذاء النباتى والحيوانى، وفي انتشار الترف في الطعام، وفي مقابل ذلك نسيان الخالق سبحانه، وعدم التحدث بنعمه، وهذا النوع من الرفاهية، الذى يكثّر فيه النعيم، وينسى فيه المنعم، هو مذموم ولا شك.

والإسلام لا يعارض الرفاهية، التى تؤدى فيها الحقوق والواجبات، والتى لا يندفع فيها بمظاهر الدنيا، والتى لا يرتبط فيها النعيم بالغفلة والنسيان.

وهنا نقرر أن الدنيا بصورتها التى رسمها الحديث، دنيا الرفاهية المذمومة والغفلة والبلادة والذهول عن الواجبات، والجرى وراء الشهوات - مذمومة؛ لأنها مشغلة عن العمل الحق وعن ذكر الله، وغير دافعة للإنتاج والتقدم، وملهية عن الآخرة، ولا يتعلق بها إلا البخلاء والجنباء وطلاب الظهور والمنافقون ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ﴾ ﴿١٦﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبِطِلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [هود: ١٥-١٦].

وتكون غير مذمومة، عندما تكون مزرعة طيبة للآخرة، ومرفداً للعمل الصالح، وسبيلاً للتزود من الخير والطاعات، والتغلب على الشيطان، ومحاربة الشهوات، وعندما يصفو القلب لله، وينقى العمل من الرياء، وتصدق النوايا مع الله ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا

(١) رواه الطبرانى عن عبد الله بن يسير رضي الله عنه.

ءَاتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ» [البقرة: ٢٠١]. ﴿فَعَاتَنَهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٨].

وفي نهاية تناولنا لقضية العلم في الإسلام فإننا نرصد أمرين على قدر من الأهمية:

أولاً: الجزاء عند الله تعالى ليس على حجم العمل أو نوعيته، بل على درجة الإخلاص والإحسان فيه، وأن العمل مهما صغر فإن المسلم مثاب عليه، ويدخل في نطاق العبادة، ويجسد ذلك قوله ﷺ: « كل سُلامى من الناس عليه صدقة كل يوم تطلع فيه الشمس، تعدل بين الاثنين صدقة، وتعين الرجل في دابته، فتحمله عليها أو ترفع له عليها متاعه صدقة، والكلمة الطيبة صدقة، وبكل خطوة تمشيها إلى الصلاة صدقة، وتميط الأذى عن الطريق صدقة»^(١).

فالأعمال التي تحسبها صغيرة هي عظيمة عند الله تعالى، إفراغك من دلوك في دلو أخيك، وتذليل صعاب الطريق، ومساعدة الرجل في ركوب دابته أو متاعه كلها صدقات؛ تعدل الصلاة والكلمة الطيبة.

ثانياً: الغاية من حياتنا على العموم هي عبادة الله تعالى، وبذا يلزمنا أن تأتى أعمالنا على أنها عبادة لله تعالى فأعمالنا العملية هي تحقيق للعبادة، وعندما نأتيها بوعى، ونأتى كل أعمالنا الإنسانية - الروحية والمادية دون فصل - مقرونة بإيمان ونية ويقين أن هذا العمل عبادة حقة.

ورغم أن الاصطلاح جرى على أن العبادة هي العبادات المشروعة كالصلاة فهذا المعنى خاص، أما معناها العام فهو كل قول أو عمل أو فعل للمسلم، تتجه فيه النية إلى الله، ويدخل في هذا العمل الدنيوى - كما أشرنا - وإن كان فيه حظ النفس والشهوة وقضاء الوطر، فهذا يدخل في العبادة « وفي بضع أحدكم صدقة قالوا: يا رسول الله أيأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر؟ قال: أرأيتم لو وضعها في حرام أكان عليه وزر فكذلك إذا وضعها في الحلال كان له أجر»^(٢).

ونقرر هنا أن كل أعمال المسلم وأقواله تأخذ طابع العبادة، ولو كانت محض أعمال دنيوية كالأكل والشرب والسعى في طلب الرزق؛ ما دامت نية الطاعة وراء هذا كله.

(١) رواه الشيخان وغيرهما عن أبي هريرة ؓ. والسُّلامى أى العضو.

(٢) رواه مسلم عن أبي ذر الغفارى ؓ. والبضع أى الجماع.

بل إن الامتناع عن فعل المحرمات يدخل في معنى (العباداة) أيضا، إذا توافر الشرط السابق، وهذا نوع من العباداة السلبيّة؛ ففي حديث النفر الثلاثة^(١) الذين كانوا في الغار، وأغلقتهم صخرة من الجبل، حين استشفع ثانيهم بامتناعه عن الزنا بابتنة عمه؛ التي كان يحبها أشد الحب لما ناشدته الله، فامتنع طاعة لله وابتغاء مرضاته، وبذا يكون الامتناع عباداة، أثيب عليها فاعلها.

وهنا تكون حياة المسلم كلها تحقيقاً لمعنى العباداة بمفهومها الواسع الشامل، وهو بعض ما يفهم من قوله تعالى ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات: ٥٦]. ولا تتحقق الحياة الصحيحة عندما يُفصل فيها الدين عن الحياة، وعندما يقتصر فهم العباداة على العبادات المخصوصة، وعندما يقتصر فهم العمل على أنه العمل الديني فقط.

وهكذا رصدنا قضية العمل في الإسلام والمضمون التعبدي لها، والرؤية الشمولية للإسلام في ذلك فإننا نؤكد أننا ركزنا على الجانب القيمي والأخلاقي للعمل في الإسلام، وأن معالجتنا استهدفت تبيان وجه الحق في رؤية الإسلام للعمل وربطه بالعبادة، والحث عليه كقيمة خلقية فردية وجماعية، به تتحقق قوة المسلم، واليد العليا تكون له دائماً، وبه ينهض المجتمع المسلم، ويقيم حضارته على أسس إيمانية، وعلى فهم رشيد ليقوم العمل والإنتاج في الإسلام.

وللإسلام نظراته القيمة للمال؛ وهي تتكامل مع رؤيته الواسعة للعمل، وتحقيقاً للترابط في معالجة المنظور القيمي والأخلاقي في الإسلام، وللتكامل في تناول، فإننا سنعرض لقضية المال في الإسلام.

المبحث الرابع: الجانب القيمي والاجتماعي للمال في الإسلام

نقرر بداية أن المال ليس غاية في ذاته، وإنما هو وسيلة من وسائل قضاء الحوائج، وتحقيق المآرب، فمن استعمله في هذا السبيل كان خيراً له وللمجتمع؛ ولذا يقول ﷺ: «نعم المال الصالح للرجل الصالح»^(٢).

(١) رواه الشيخان عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، وهو حديث عظيم المعنى والفائدة.

(٢) رواه أحمد بن حنبل في مسنده من حديث عمرو بن العاص ﷺ.

وقد عدّ القرآن الكريم المال من الشهوات، التي زينت للناس ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ﴾ ذَلِكَ مَتَّعَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْبُ الْمَقَابِرِ ﴿[آل عمران: ١٤]﴾. وعده زينة كذلك ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾ [الكهف: ٤٦].

ولا يمكن إغفال قيمة المال للعمل الإسلامى وحركة المجتمع، فقد قيل لحكيم: لم تجمع المال وأنت حكيم؟ فقال: لأصون به العرض، وأؤدى به الفرض، وأستغنى به عن القرض.

وقيل لأحد الصالحين: لم تحب الدراهم والدنانير؟ فقال: هى وإن أدنتنى منها، فقد صانتنى عنها. وكان أحد الصالحين يقول: اللهم ارزقنى حمداً ومجداً، فإنه لا حمد إلا بفعال، ولا مجد إلا بهال.

وبذا فإنه بالمال، تصان العروض، وتحفظ الكرامة، وتوصل القربات، ويؤاسى الفقراء، ويتحقق الإحسان، ويساهم فى أعمال البر والخير، وتربية الأولاد تربية صحيحة كما يستطيع المال أن يفعل الكثير فى مجال الدعوة وتبليغ الرسالة، فالمال المزكى المطهر المقبول عند الله يساهم بفاعلية فى إنشاء جيل جديد قوى متماسك؛ يملك جميع أسباب القوة، وبه يستطيع الدعوة أن تصمد أمام الحوادث^(١).

والحق أن للمال سلطاناً متمكناً من النفوس، وطغياناً مدمراً لكثير من الناس؛ الذين يلهيهم المال؛ ويذهب بهم مذاهب التيه والكبرياء؛ وقد يدفعهم ذلك إلى استعباد الناس أو إذلالهم، مما يستوجب غضب الله تعالى وسخطه، وهذا ما نجده فى قصة قارون؛ الذى آتاه الله المال؛ فتكبر وفرح وطغى وتعالى فكانت عاقبته ﴿لَحَسَفْنَا بِهِءِ

(١) رغم قيمة المال فى مجال الدعوة لتلبية حاجات المجتمع المسلم، إلا أنه مهما تضخم وتكدر، فإنه لا يملأ الفراغ المعنوى والروحى والفكرى، ولا يغنى عن مسحات الفكر، وتأملات العقل كما لا يغنى عن الفكر الدقيق ولا عن رأى السديد، ولا يجبر كل كسير، ولا يسد كل عوز، ولا يملأ كل فراغ.

وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾
[القصص: ٨١].

ودعوة الإسلام لعدم الاغترار بالدنيا والزهد في زيتها والإقلال من شأنها، وتوجيه الانتباه للآخرة واعتبار المال فتنَةً، ليس معناها إهمال قيمة المال في حياة المسلمين وفي ركب الحياة؛ أو الدعوة للفقر العام؛ فالنصوص التي أكدت المعنى السابق - الدعوة السابقة - على كثرتها؛ لم تُغفل الأثر الطيب للمال عندما يوظف توظيفاً جيداً، وهذا ما نجده في الأحاديث التالية «فوالله ما الفقر أخشى عليكم ولكني أخشى عليكم أن تبسط الدنيا كما بسطت على من قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها فتهلككم كما أهلكتهم»^(١)، «إن مما أخاف عليكم من بعدى ما يفتح عليكم من زهرة الدنيا وزينتها»^(٢)، «إن الدنيا حلوة خضرة وإن الله مستخلفكم فيها فينظر كيف تعملون فاتقوا الدنيا واتقوا النساء»^(٣)، «ما الدنيا في الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم أصبعه في اليم فينظر بم يرجع»^(٤)، «انظروا إلى من هو أسفل منكم ولا تنظروا إلى من هو فوقكم فهو أجدر ألا تزدروا نعمة الله عليكم»^(٥)، «إذا نظر أحدكم إلى من فضل عليه في المال والخلق فلينظر إلى من هو أسفل منه»^(٦)، «ازهد في الدنيا يحبك الله وازهد فيما عند الناس يحبك الناس»^(٧)، «كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل»^(٨)، «إن لكل أمة فتنه، وفتنة أمتي: المال»^(٩)، «يقول ابن آدم: مالى مالى، وهل لك يا بن آدم من مالك إلا ما أكلت

(١) رواه الشيخان عن عمرو بن عوف الأنصاري ؓ .

(٢) رواه الشيخان عن أبي سعيد الخدري ؓ .

(٣) رواه مسلم عن أبي سعيد الخدري ؓ .

(٤) رواه مسلم عن المستورد بن شداد ؓ .

(٥) رواه مسلم عن أبي هريرة ؓ .

(٦) رواه البخاري عن أبي هريرة ؓ .

(٧) رواه ابن ماجه عن سهل بن سعد الساعدي ؓ .

(٨) رواه البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما .

(٩) رواه الترمذي عن كعب بن عياض ؓ .

فأفئيت أو لبست فأبليت أو تصدقت فأَمْضيت»^(١)، «اطلعتُ في الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء»^(٢).

وغير ذلك من أحاديث الرسول الكريم ﷺ - في نفس المعنى السابق - ومما نجده في أقوال الصحابة والسلف^(٣) بيد أننا لا يفوتنا أن نعقب على الأحاديث المتقدمة مؤكدين؛ أن الدنيا عندما تُقبل علينا فنؤدى حقوق الله تعالى، وننصر المظلوم، ونغيث المستغيث، ونساعد المحتاج، ونقوم بواجبات الخلافة في الأرض فعندئذ لا تكون مذمومة، ولا يخشى من إقبالها، وهذا ليس معناه أن يكون جمع المال هو غايتنا كي نحقق ما تقدم بعد أن تكون استنفدنا طاقتنا الإيمانية والعلمية في ذلك، ولا أن تكون الدنيا هي بغيتنا وهدفنا. ولكن في أعمال الخير والبر والعطاء نجعلها موضعاً لتحقيق هذه الأعمال، فإن أدرك المسلم نعيمها ومالها - بعد عمل وأخذ بالأسباب - فعليه أن يتقى الله فيما استخلف فيه، وإن لم يدركه ذلك فعليه أن ينظر إلى من هو أقل منه مالاً حتى يحمد الله على ما أعطاه. وعليه ألا يستكين أو يركن إلى مقام الفقر واليد السفلى.

فالمسلم يحكمه إيمان عميق بدنو الأجل والضيافة في الدنيا واغتنام الخير فيها؛ ولذا فإنه إن أعطى المال فهو يوقن أنه فتنة؛ وعليه أن يتغلب بعزيمته الإيمانية وأن يسمو بنفسه وأن يرقى بروحه عن الاغترار به أو تسلطه على نفسه، وإن لم يعط المال فعسى أن يكون ذلك خيراً؛ لأنه ربما أعطى المال فلم يقيم بواجباته، وقد يفسد حاله، ويتزلزل كيانه؛ ولذا لم يخش رسول الله ﷺ على أمته من الفقر مع أنه موجه للناس، ومذلل للنفس، ولكنه خشى من أن تُبسط لهم الدنيا؛ فيتنازعوا فيها تنازع الوحوش، وتشتعل بينهم العداوة والبغضاء، ويذكرنا الرسول الكريم بأن الغنى الحقيقي ليس بكثرة المال ولا علو المنصب والمكانة؛ فهذا غنى زائل؛ لأنه عرض من أعراض الدنيا (ليس الغنى عن كثرة العرض ولكن الغنى غنى النفس)^(٤).

(١) رواه مسلم عن عبد الله بن الشخير ؓ.

(٢) رواه البخارى عن عمران بن الحصين ؓ.

(٣) يمكن للقارئ الكريم الاستزادة من ذلك من كتاب (جامع العلوم والحكم) لابن رجب الحنبلى، في تفسير الحديث الأربعين (كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل) ص ص ٣٥٦-٣٦٤.

(٤) رواه الشيخان عن أبى هريرة ؓ.

ويعجب المرء كثيراً عندما يقرأ في كتب الصوفية؛ فيرى نزعة قوية تميل إلى بغض المال وتجنب الزهد فالمحاسبى - وهو قدوة للصوفية - كان من أعداء المال، ولم تكن عداوته للمال عداوة هنية؛ لأنه ضرب على الوتر الحساس حين ذكر المسلمين بفقر الرسول الكريم، وهو يتخذ فقره ﷺ حجة على شر الغنى وإضراره بخير الدنيا والدين.

«والحق أن النبی الكريم لم يفكر في إصلاح دنياء؛ لأنه شُغل بتبليغ الرسالة، ومن المعقول أن يلوذ الأنبياء بالفقر، ليتفرغوا لدعوتهم ورسالتهم.. ولكن كيف يصبح الفقر شريعة؟ أو كيف يصير من واجب الناس أن يعيشوا فقراء؟.

فالفقر خُلقةٌ بشعة؛ لا يطمع في التعرف إليها رجل كريم؛ لأنه البلية العظمى، والنكبة الكبرى، والبلاء الماحق، والشر الملعون، وهو أقبح الصفات التي تنزه عنها الله عز وجل»^(١).

والأحاديث التي ذمت الدنيا وهونت من شأنها، لا يفهم منها تعطيل العمران، أو رفض المال، والانزواء في الأرض؛ فتقوى الدنيا في الحديث «اتقوا الدنيا» يكون بطرح الشر فيها، وعدم الاغترار بها، وفهم حقيقتها. والإسلام عندما يذم الحياة الدنيا فذلك ليضمن حدود الاعتدال فيها، ويحجز الغرائز الجامحة بالأثرة والغي والفساد، وتأكيد على أن الدنيا تليها حياة أعظم وأبقى وأخلد ﴿وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٤].

وهكذا فإن الإسلام لا يبغض الدنيا لذاتها، وإنما يبغض الانكباب عليها، والتناحر من أجلها، وجمع بعضها على بعض، دون نظر إلى من أين أتت، ولا أين تنفق.

ولكى يتجاوز المسلم فتن الدنيا والمال، ولكى يعلو عليهما، حُب الإسلام إليه خُلِق السخاء والكرم والإنفاق في سبيل الله، وهذا ما نجده في الأحاديث التالية «لو كان لى مثل أحد ذهباً لسررتى أن لا تمر على ثلاث ليال وعندى منه شىء إلا شىء أرصده لدين»^(٢)، «يا بن آدم إنك إن تبذل الفضل خير لك، وإن تمسكه شر لك، ولا تلام على

(١) محمد الغزالى: كيف نفهم الإسلام؟ مرجع سابق، ص ص ٥٤-٥٥.

(٢) رواه الشيخان عن أبى هريرة ؓ.

كفاف، وابدأ بمن تعول، واليد العليا خير من اليد السفلى»^(١)، «ما من مسلم يكسو مسلماً ثوباً إلا وكان في حفظ الله ما دام عليه منه خرقة»^(٢)، «ما تصدق أحدٌ بصدقة من طيب - ولا يقبل الله إلا الطيب - إلا أخذها الرحمن بيمينه. وإن كانت تمرة فتربوا في كف الرحمن حتى تكون أعظم من الجبل كما يربى أحدكم فلوله [مُهره الصغير] أو فصيله»^(٣)، «.. وإن هذا المال خضر حلو ونعم صاحب المال هو لمن أعطى منه المسكين واليتيم وابن السبيل»^(٤)، «وإنك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله إلا أجرت بها حتى ما تجعل في في - فم - امرأتك»^(٥).

فقناعة المسلم بأن المال مفقود؛ فإنه يدخره عند الله تعالى، ويقل حرصه عليه، وإن كان مُوسعاً عليه في الرزق فينبغي أن يكون حاله السخاء واصطناع المعروف، والتباعد عن الشح والبخل، وهذا ما أوضحناه في حديثنا عن ذميمة البخل في القسم الثالث.

ولعلنا نخلص إلى تقديم رؤية شمولية للمال في الإسلام، وفي النقاط التالية:

١ - المال فيه خير وشر؛ ومن عرف فوائده وغوائله؛ أمكنه أن يحترز من شره ويستدر من خيره - على نحو ما قاله الإمام الغزالي - الذي حصر فوائده الدينية في ثلاثة أنواع هي النفقة على النفس والأهل، والصدقة، والخير العام. وحصر آفاته الدينية في جره للمعاصي، والتعلق به، وملهاة صاحبه عن ذكر الله، وله آفاته الدنيوية كالخوف والحزن والغم والهم والتعب في دفع الحساب، وتحشم المصاعب في جمع المال وحفظه.

كما أن المال خُلِقَ لحكمة، وهو صلاحه لحاجات الخلق؛ فيمكن إمساكه عن صرفه إلى ما خُلِقَ الصرف إليه، ويمكن التصرف فيه بالعدل، وهو أن يحفظ حيث يجب الحفظ، ويُبذل حيث يجب البذل؛ فالإمساك حيث البذل بخل، والبذل حيث الإمساك تبذير، والتوسط بينهما محمود بين الإسراف والإقتار وبين البسط والقبض.

(١) رواه مسلم عن صدى بن عجلان رضي الله عنه.

(٢) رواه الطبراني في الكبير عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) رواه الشيخان وغيرهما عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) رواه الشيخان والنسائي عن أبي سعيد رضي الله عنه.

(٥) رواه الشيخان وغيرهما عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه.

٢- ليس ثمة تناقض بين دعوة الإسلام إلى اتقاء الدنيا والزهد فيها، وبين دعوته للعمل والإنفاق والسخاء والكرم، وليس هناك تناقض بين القيام بواجبات الاستخلاف وبين الاغترار بالدنيا، فالعرب والمسلمون لم يعزفوا عن الدنيا - قديماً - ولم ينصرفوا عن علومها، ولو كانوا كذلك ما قامت لهم دولة ولا كيان. وبذا لا نتفق مع أفكار المتصوفة التى شأنها شل حركة المسلمين وتخلفهم، وذلك بالإعراض عن الدنيا ومنافاة ذلك لطريق الله على حد قولهم.

٣- يدعو الإسلام إلى كسب المال من طريق الحلال، وإنفاقه فى وجوه الخير، وفرض على صاحب المال إخراج الزكاة منه، سواء كان نقداً أو أنعاماً، أو زرعاً، أو ركاذاً. وللمال شأن عظيم فى إقامة المجتمع القوى، القادر على حماية نفسه، القادر على مد العون لكل المسلمين.

٤- تمتلك البلدان الإسلامية ثروة عظيمة من البترول، الذى يتفجر من باطنها، وجمع الله لها أسباب القوة المادية، وبالطاقة والمال تستطيع نشر دين الله، ونصرة باقى المسلمين، ومساعدة الجياع من إخواننا فى البلاد الأفريقية، وتسخير هذه الإمكانيات فى تقديم صورة مشرقة لدين الله، وتبليغه لكل دول العالم بوسائل العلم الحديث، وبالإذاعات الإسلامية التى تتصدى للغزوات التبشيرية، وبهذه النعمة التى أنعم الله بها على هذه البلدان تستطيع أن تعطى وتساعد وتعاون، وتستطيع أن تكون ذات قرار فى القضايا العالمية، وتستطيع أن تولى كلمة الله، وأن تكون صاحبة اليد العليا دائماً.

تعقيب وتعليق:

ناقشنا فى هذا الفصل المنظور القيمى والأخلاقى فى الإسلام كأحد مقومات البعث، مؤكدين على فعالية الأخلاقيات فى حياة المسلمين، وفى أى نهضة حضارية لهم، وذلك فى أربعة مباحث رئيسة:

فى المبحث ١ ول: عرضنا للجانب الأخلاقى ومضامينه فى الإسلام، وذلك من خلال تأصيل نظرى لقضية الأخلاق فى الإسلام، وبيان فضل حسن الخلق وعلاماته، ورصد العلاقة بين العبادات والأخلاق، وبين الإيمان والأخلاق، وبيان الرؤية الشمولية للأخلاق فى الإسلام، ومدى تأثير الشخصية المسلمة بذلك، وإبراز رؤيتنا لفاعلية الأخلاق فى النهضة الإسلامية.

أما المبحث الثاني فقد قدمنا فيه تصنيفاً للمنظومة الأخلاقية في الإسلام من خلال أقسام ثلاثة، قدمنا في كل قسم أحد عشر خلقاً منها وذلك في الأخلاق الأساسية في البناء الاجتماعي والعلائقى للمجتمع المسلم، وفي الأخلاق الفرعية الحميدة، ثم الأخلاق الذميمة، وقد أكدنا في كل خلق منها على أثره في سلوك المسلم كفرد، وفي المجتمع المسلم كجماعة.

وأما المبحث الثالث فتناول دراسة تحليلية لقضية العمل في الإسلام، من منظور البناء والبعث، فأوضحنا علاقة العمل بالعبادة، وبيننا فاعليته للمجتمع، ورصدنا أوجه الخير المتصلة بالعمل، وفلسفة القرآن في الربط بين الدنيا والآخرة. ثم قدمنا معايير التقدم والرفاهية في الإسلام، وخلصنا إلى رؤيتنا للمضمون التعبدى والجانب القيمى فى قضية العمل.

وفى المبحث الرابع: عرضنا للجانب القيمى والاجتماعى للمال فى الإسلام، وذلك ببيان رؤية القرآن الكريم للمال وقيمة المال للعمل الإسلامى، والتأكيد على أن ذم المال والدنيا إنما يكون عند الاغترار بهما وتقديمهما على ما عداهما ثم ناقشنا رأى الصوفية فى المال، وبيان ضرر الفقر على المجتمع المسلم، وخلصنا إلى رؤيتنا للمضمون القيمى والحركى للمال فى الإسلام.

وهكذا .. رأينا الصرح الشامل المتكامل للأخلاق الإسلامية، وأنه لم يبق جانب من جوانب الحياة الإنسانية إلا وقد صاغه الإسلام صياغة أخلاقية؛ بحيث ترى هذه الأخلاق التامة الكاملة قد جمعت كل خلق حسن، ونبذت كل خلق سيئ، وبمقدار ما يأخذ الإنسان من الأولى يرتفع، وبمقدار ما يدنو من الثانية يهبط. وتصفو الشخصية الإسلامية وترقى كلما تجدها متمسكة بالأخلاق الإسلامية، وعندما تحيا الأخلاق الإسلامية من جديد نستعيد بذلك سلوكيات أجيال السلف، ويكون ذلك بداية لنهضة إسلامية حقيقية.

ومناقشتنا للجانب القيمى والأخلاقى فى الإسلام، وتأكيدنا على المضامين الأخلاقية فى الإسلام كمنطلقات للبعث والنهضة يستتبعه تناول الجانب العلمى والتعليمى والإعلامى فى الإسلام كأحد ركائز البعث؛ وهذا ما نفضله فى الفصل التالى.